



نبذة تاريخية ومالية

المطبعة العصرية

كتب المؤلف

١ — رسائل فى الوقف (بحث فى مشروعية الوقف)

٢ — الطعن فى الاحكام بطريق النقض والابرام (ترجمة)

٣ — قضاء المحاكم فى مسائل الاوقاف (مجموعة الاحكام الصادرة فى مسائل الاوقاف لغاية سنة ١٩٠٨)

٤ — خواطر خواطر (فى مسائل قانونية وتشريعية وعمرانية)

٥ — ما هنا وما هنالك (مسائل تشريعية ومقابلة بين نظام التقاضى فى مصر ونظام التقاضى فى المانيا والنمسا وايطاليا وفرنسا)

٦ — مجموعة مذكرات (فى بعض قضايا شهيرة)

٧ — فرض ضريبة على التركات (باللغتين العربية والفرنساوية)

٨ — عشر رسائل فى القضاء والتشريع

٩ — مسائل قانونية ورسائل شتى

١٠ — شؤون مصرية — طبعة اولى — (بعض رسائل فى السياسة الزراعية والسياسة المالية والاقتصادية وسياسة التعليم فى مصر)

١١ — شؤون مصرية (طبعة ثانية) وفيها ثمانى رسائل جديدة

١٢ — قنال السويس

١٣ — احاديث

قنال السويس

١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

فتح قنال السويس . بعد ستين سنة

مهرجان افتتاح

فى مثل هذا اليوم من شهر نوفمبر سنة ١٨٦٩ وقع حادث من اكبر حوادث الدهر كان له اثر من اكبر الآثار فى العلاقات السياسية والتجارية والمالية لدول العالم . ذلك الحادث هو فتح قنال السويس

شهد حفلة افتتاح قنال السويس ستة آلاف شخص من ذوى الحيثيات الرفيعة . منهم الامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث امبراطور فرنسا . وامبراطور وامبراطورة النمسا والمجر . وولى عهد بريطانيا (الملك ادوارد السابع) وزوجته . وأمير وأميرة هولانده . وولى عهد بروسيا . والامير غليوم صاحب أمارة هيس . والغراندوق ميشيل نائبًا عن قيصر روسيا . والأمير عبد القادر الجزائرى المشهور . وكان الخديوى اسماعيل ووزيره الاكبر نوبار على ظهر الباخرة « محروسة » يستقبلان وفود الامراء والعلماء والكبراء الذين جاءوا من كل حدب ليشهدوا حادثا من اعظم الحوادث التاريخية التى وقعت فى القرن التاسع عشر

ويقول المؤرخون أن مهرجان افتتاح القنال كان أشبه شىء بروايات الف ليلة وليلة . انفق فيه اسماعيل باشا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وبلغ البذخ فيه مبلغا لا تتصوره مخيلة انسان

من ضمن ما عمله لتسرية خواطر الزائرين انه انشأ دار الاوبرا القائمة الآن فى وسط القاهرة . اتم بناءها فى خمسة شهور وأنفق على بنائها ١٦٠٫٠٠٠ جنيه . ثم أوصى فى أوربا بصنع أزياء المشخصين ومناظر المسرح وأثاثاته وبلغ ما دفعه ثمنًا لها ٤٠٫٠٠٠ جنيه . وفى أول نوفمبر سنة ١٨٦٩ افتتح دار الاوبرا وكانت أول رواية مثلت رواية ريجوليتو Rigoletto . ثم كلف ماربيت باشا بأن يستخرج له من تاريخ الفراعنة قصة تكون موضوع رواية تشخص فى الاوبرا فكانت رواية « عائدة ».

واستدعى فردى Verdi الموسيقى الايطالى الشهير لعمل الحان الرواية . وعندما أتمها نفحه بمبلغ ٦٠٠٠ر٦ جنيه اتعاباً . كذلك انشأ الطريق الذى يوصل القاهرة باهرام الجيزة فأتمه فى خمسة أسابيع واستخدم لاتمامه ٠٠٠ر١٠ نفس . وقد بلغت نفقات الحفلات التى أقامها اسماعيل باشا مبلغ ٠٠٠ر٤٠٠ر١ جنيه . اذا أضفت اليها النفقات الاخرى التى استلزمها حفر القنال والاعمال التى استلزمتهـــا استعدادات المهرجان من فتح شوارع وإنشاء ميادين وتشييد قصور كان المجموع ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ من الجنيهات .

واسماعيل باشا هو الذى أنشأ حى الاسماعيلية والتوفيقيـــة وعابدين وحديقة الازبكية وكوبرى قصر النيل ومدينة الاسماعيلية ، وبنى قصر الجيزة وقد كلفه ٣٧٤ر٣٩٣ر١ جنيهاً . وقصر عابدين ٦٧٠ر٦٦٥ جنيهاً . وقصر الجزيرة ٦٩١ر٨٩٨ جنيهاً ، وقصر الاسماعيلية وقد كلفه ١٨٦ر١٠١ر١ جنيهاً . وقصر القبة وقصر حلوان وقصرى الرمل . وجدد سرايات رأس التين وقصر النيل والقلعة والنزهة وشبرا . وبلغت تكاليف النقوش والزخارف فى سرايات الجيزة والجزيرة وعابدين وحدها نيفاً ومليونين من الجنيهات . وبلغ ثمن الستارة الواحدة ١٠٠٠ جنيه مصرى . وبلغت تكاليف القصور التى شيدها فى عهده ٠٠٠ر٠٠٠ر٥ جنيه ويقول الخبيرون ان القنال كلف مصر وحدها ٠٠٠ر٠٠٠ر١٧ من الجنيهات - مع ان تكاليف حفر القنـــال كلها حتى يوم الاحتفال بافتتاحه لم تبلغ سوى ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٦٩ فرنك ذهب (أى ٠٠٠ر٧٦٠ر١٤ مليون جنيه)

ولا تعجب لبـــذخ اسماعيل باشا فان الملايين من الجنيهات ما كانت فى نظره شيئاً مذكوراً وما كان يتردد لحظة فى انفاق الاموال الطائلة لتحقيق أغراضه . ألا تذكر أنه فى سبتمبر سنة ١٨٧٢ رشا السلطان نفسه بمبلغ ٠٠٠ر٩٠٠ جنيه ، والصدر الاعظم بمبلغ ٠٠٠ر٢٥ جنيه ، ووزير الحربية بمبلغ ٠٠٠ر١٥ جنيه ، ووزع ٠٠٠ر٢٠ جنيه على موظفى السراى الشاهانية ليحصل على فرمان يخوله حق عقد القروض بلا قيد ولا شرط - وقد صدر الفرمان بالفعل من السلطان رأساً بدون علم الباب العالى . ألا تذكر أنه نفح فؤاد باشا الصدر الاعظم بمبلغ ٠٠٠ر٦٠ جنيه عندما حضر الى مصر مع السلطان عبد العزيز . ألا تذكر أنه أنفق نيفاً وثلاثة ملايين من الجنيهات فى سبيل الحصول على لقب « خديوى » وعلى فرمان بحصر الوراثة فى ذريته

ومظاهر الابهة والفخامة والجلال التى كان عليها « الخديوى الصغير » اسماعيل باشا المفتش تثير فى ذهنك صورة من مظاهر الابهة والفخامة والجلال التى كان عليها « الخديوى الكبير » اسماعيل باشا الخديوى . أحصوا فوجدوا الاطيان التى ملكها اسماعيل باشا المفتش ٣٠٫٠٠٠ فدان من أخصب الاطيان العشورية . وعدوا له ثلاث قصور فخمة فى القاهرة فى وسط حدائق غناء قائمة فى أرض لا تقل مساحتها عن مساحة الاراضى القائمة عليها اهرام الجيزة الثلاثة . وبنى قصراً بديعاً على ضفاف المحمودية مؤثثاً بأفخر الاثاث والرياش . وبلغت قيمة الجوهرات التى اقتناها ٦٥٠٫٠٠٠ جنيه . وقيمة الاسهم والاوراق المالية ٥٠٠٫٠٠٠ جنيه . وترك من الجوارى ٧٠٠ جارية مابين شركسية وحبشية وسودانية . أما نساؤه فكن ٣٦ مابين شرعيات وسرارى، وكان لكل واحدة منهن ست جوارى بيض وبعض جوار سود مخصصات لخدمتها . وعندما بيعت مخلفات اسماعيل باشا المفتش بالمزاد العلنى بيعت بعض الاحزمة الذهبية المرصعة بالماس بمبلغ ٧٠٠٠ جنيه الواحدة . وبلغ ثمن احدى مراوح زوجة من زوجاته ١٥٫٠٠٠ جنيه . وثمن شمسية من شماسيها ٢٤٫٠٠٠ جنيه . وقدرت اللجنة الدولية ثروة اسماعيل باشا المفتش بمبلغ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه . كل هذه الثروة جمعها هذا « الخديوى الصغير » فى عشر سنوات . أما « الخديوى الكبير » فنذكر عنه رقمين فقط ومن هذين الرقمين يمكن للقارىء أن يتصور مبلغ البذخ الذى كان عليه هذا العاهل الكبير .

الاول، بلغ مجموع القروض التى استدانتها مصر من سنة ١٨٦٢ لغاية سنة ١٨٧٣ مبلغ ٦٨٫٤٩٧٫٠٠٠ جنيه . هل تعرف كم دخل خزانة مصر بالفعل من هذا المبلغ الطائل؟ لم يدخل منه سوى ٤٣٫٧٨٧٫٠٠٠ جنيه — والفرق ٢٤٫٧١٠٫٠٠٠ جنيه ذهب عمولة وسمسرة ورشوة . وهل تعرف كم دفعت مصر فوائد عن هذا الدين في مدة ١٣ سنة؟ دفعت ٢٩٫٥٧٠٫٩٩٤ جنيهاً . فكأن هذه القروض البالغ مجموعها بالفعل ٤٣٫٧٨٧٫٠٠٠ جنيه دفعت عنها مصر فى ١٣ سنة فقط ٥٤٫٢٨٠٫٩٩٤ جنيهاً فوائد وسمسرة وعمولة ورشوة . ومع هذا بقى أصل الدين كما كان ٦٨٫٤٩٧٫٠٠٠ جنيه

الثـانى ، وجدوا أمراً بصرف مبلغ ١٥٠٫٠٠٠ جنيه انجليزى سداداً لحساب خياطة فرنساوية ثمن ملابس وردتها لاحدى كريمات المغفور له اسماعيل باشا .

هذه بعض أرقام تقرب الى ذهنـك ما كان عليه الاسراف والبذخ فى ذلك العهـد . فلا تعجب اذن اذا قيل لك أن مهرجان افتتاح القنال كلف اسماعيل باشا ١٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه — وان نصيب مصر فى نفقات حفر القنال وفيما تفرع عنه قد بلغ ١٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات

ومن دلائل عظمة المهرجان ان بلغ عدد السفن الحربية وغير الحربية التى اشتركت فى هذا المهرجان العظيم ٦١ سفينة — منها ١٤ انجليزية و١١ فرنسوية و٧ مصرية و٣ بروسية وسفينتان هولانديتان وسفينة سويدية وواحدة دانيمركية وأخرى اسبانية . دخلت كلها قنال السويس بين مسلتين كبيرتين اقيمتا على مدخل القنال . وكانت السفينة الفرنسوية « النسر » المقلة امبراطورة فرنسا مع مسيو دلسبس وعائلته تتقدم السفن جميعها

ومن حسن المصادفات أن مسيو دلسبس كان قد عقد خطبته على آنسة فرنسوية دعاها هى وعائلتها الى حفلة الافتتاح . وكان اميل زولا الكاتب الفرنسوى الشهير حاضراً الحفلة مندوباً عن جريدة الفيغارو الفرنسوية . فنظر الى دلسبس وقال « أن دلسبس اتم الآن الوصال بين البحرين الابيض والاحمر فلم يبق الا ان يتم وصاله هو أيضاً » . وأرسل رجل من أمريكا الى دلسبس تلغرافاً كله ايجاز واعجاز — قال فيه « كنتَ أقوى منا » اشارة الى أن دلسبس أتم حفر « قنال السويس » بينما الامريكان عجزوا عن حفر « قنال بناما »

كلوت بك والقنال

ألف كلوت بك المشهور كتاباً نفيساً جداً عن مصر — ظهر فى سنة ١٨٤٠ وقت ان كان المغفور له محمد على باشا لا يزال حياً يرزق . واليك ماقاله عن وصل البحرين الابيض والاحمر :

"L'importance de cette communication, quoiqu'elle n'ait jamais été aussi grande qu'à notre époque, a été sentie de tout temps. Le grand Sésostris paraît avoir été le premier qui ait conçu le projet de faire communiquer les deux mers par un canal. Il donna à cette entreprise un commencement d'exécution; il lia le Nil à la mer Rouge par un canal qui, d'après Diodore de Sicile, s'étendait depuis Memphis jusqu'à Clymas. Plus tard, un de ses successeurs, Néchos, s'occupa aussi de cette jonction qui ne fut point terminée. D'après Hérodote, les premiers travaux, qui coûtèrent la vie à cent vingt mille hommes, furent arrêtés sur la réponse de l'oracle qui, consulté par Néchos, lui dit" que la construction du cana projeté ouvrait aux étrangers l'invasion de l'Egypte." Le projet de l'entreprise de Néchos fut, sous la direction des Perses, continué par Darius, fils d'Hyspaspes, et enfin terminé par Ptolémée Philadelphe, qui lui donna son nom. Strabon rapporte qu'il le fit garnir de barrières très ingénieuses qu'on ouvrait pour laisser passer les vaisseaux et qu'on refermait ensuite très promptement; ce canal, au dire de Pline et de Strabon, était large de cent coudées, avait une profondeur de trente pieds et cinquante lieues de longueur. Il permettait une libre navigation aux vaisseaux à voiles qui pouvaient se croiser sans accident, pouvaient y marcher de front et parcourir le trajet pendant deux ou trois jours. Ce canal, qui porta le nom de canalis Ptolomoeus, partait de la branche pélusienne du Nil, au-dessous de Bubaste, non loin du Delta, et allait se rendre à Assinie, ville bâtie sur la pointe la plus septentrionale du golfe Arabique. Ainsi que nous l'avons vu, il traversait, à moitié chemin, le lac Amer, de même que le Rhône traverse le lac de Genève.. Les vaisseaux de la mer Rouge, arrivés à la branche pélusienne du Nil, pouvaient descendre dans tous les ports égyptiens de la Méditérranée ou remonter le fleuve jusqu'à Memphis et de là jusqu'à Thèbes. Le canal de Ptolémée, fournissant aussi une irrigation abondante dans la ligne la plus étendue de l'isthme de Suez, fertilisa ce territoire qui se couvrit bientôt d'opulentes cités. En partant de la branche pélusienne, on trouvait à gauche la ville d'Heroopolis, plus loin Bubastis, Phagroriopolis, ainsi que Serapeum, non loin d'Arsinoé.

"Sous l'empire des Romains, Trajan renouvela ce canal, et y ajouta même une branche qui arrivait à quelques stades au-dessous de Memphis. Cette prolongation du canal portait le nom de Trajan, et se trouve explicitement indiquée dans le passage suivant de Ptolémée: "Entre

Héliopolis et Babylone coule le fleuve Trajan (amnis Trajanus)." Quinte-Curce le nomme Oxius, et les Arabes Merahemi. Macrisi, dans son Histoire d'Egypte, attribue ce canal à Adrien César. Enfin, il n'y a pas jusqu'aux Arabes qui n'aient suivi un pareil exemple.

"L'historien Elmacin rapporte que, sous le califat d'Omar, les villes de la Mecque et de Médine souffrant de la disette, ce calife ordonna au gouverneur d'Egypte, Amrou, de tirer un canal du Nil à Colzoum (ancien Clysma), afin de faire passer désormais par cette voie les contributions de blé et d'orge destinées à l'Arabie. — Amrou exécuta cette grande entreprise et donna à ce canal le nom de Fleuve du prince des fidèles. Volney rapporte que, cent trente-quatre ans après, le calife Abou-Djaffar-el-Mansour le fit obstruer afin de couper les vivres à un descendant d'Ali, révolté à Médine. Depuis ce temps-là il n'a pas été rouvert. Ce canal, dont il existe encore une portion qui prend le nom de Kalig, prend son point de départ du Nil à l'extrémité du vieux Caire, tout près du Château d'Eau, traverse le grand Caire et va se perdre à quatre lieues plus loin, au nord-est du lac des Pélerins; Birket-el-Hadji. C'est ce même canal qu'on ouvre tous les ans, avec solennité, lors de la crue des eaux du Nil. Savary prétend avec son exagération habituelle, que ce canal ayant été taillé dans le rocher l'espace de vingt-quatre lieues, on pourrait aisément en ôter le limon et le sable, dans le cas où l'on voudrait rouvrir l'importante communication du Nil avec la Mer Rouge.

"Les ingénieurs français, pendant l'expédition d'Egypte, ont constaté la direction et les dimensions de l'ancien canal, le nivellement du terrain entre Suez, le Caire et Péluse, et ont présenté les bases du projet du canal de Suez au Caire, qui serait alimenté des eaux du Nil pendant les crues.

"Mais le Nil, du Caire à Alexandrie, à Damiette et à Rosette, n'est navigable, pour les grandes barques, que pendant six mois; et le grand canal, lui-même, n'aurait un mouillage suffisant que pendant le même temps.

"Le canal de jonction des deux mers par le Nil ne serait donc qu'un canal pour ainsi dire égyptien, que les bâtiments marchands étrangers ne pourraient traverser. Sans doute, ainsi exécuté, il serait encore très utile, mais il ne donnerait pas ces résultats grandioses qu'attend le monde de la jonction des deux mers.

"Nous envisageons l'entreprise dans un but plus général; elle doit, selon nous, satisfaire à la condition d'admettre les grands bâtiments des

Indes les vaisseaux de ligne de premier rang, et les bâtiments à vapeur des plus grandes dimensions. Pour atteindre ces divers résultats, il faut donner au grand canal vingt mètres de largeur de plafond, dix mètres de profondeur totale, et seize mètres de passage aux écluses et sas.

" Ces données du problème exigent impérieusement que le canal de jonction des deux mers soit dirigé de Suez à Peluse, et que des dispositions soient prises pour surmonter tous les divers obstacles qui ont fait envisager cette entreprise comme impraticable, en raison de l'étendue des marais, de la mobilité des sables et du peu de profondeur de la Méditérranée à Péluse, appuyé de l'experience et de l'opinion de M. Cordier, qui a approfondi la question, nous considérons la solution de ces difficultés comme très-certaine.

"Dans le cas de succès, l'ouverture du canal des deux mers, pour les plus grands navires, de trente-cinq lieues de longueur, exécuté en cinq ans, opérait une révolution commerciale dans les relations de l'Europe et de l'Inde; en l'accomplissant, le vice-roi mériterait de la reconnaissance des peuples une gloire immortelle."

حملة بونابرت والقنال

حملة بونابرت على مصر كان لها حسنات كما كان لها سيئات. من سيئاتها الاعتداء على شعب آمن وقتــل كثير من الابرياء وتخريب كثير من الآثار وسفك دماء ذهبت دفاعاً عن الحرية والاستقلال . أما حسناتها فكثيرة – أهمها العثور على حجر رشيد ومنه استطاع العــلامة شامبليون حل رموز اللغة الهيروغليفية فانفتح أمام العلماء باب واسع جداً لمعرفة تاريخ مصر القــديم . ومنها درس مشروع حفر القنال بواسطة لجنة من كبار المهندسين ، ومن أعمالهم وتقاريرهم وأبحاثهم توصل فرديناند دلسبس الى حفر قنال السويس . ومنها درس شؤون مصر الجغرافية والطبغرافية والتاريخية والعمرانية،ووضع كتاب جامع مانع عنها بمعرفة لجنة من كبار العلماء لا يزال مرجع الباحثين حتى اليوم . وقد ظهر هذا الكتاب الجليل فى سنة ١٨٠٩ تحت رعاية نابليون نفسه . ومنها إنشاء المجمع العلمى الذى لا يزال قائماً حتى الآن . ومنها نقل الطباعة الى مصر،لأن بونابرت استحضر معه من باريس ومن روما جميع الادوات

اللازمة لانشاء مطبعة كبيرة فى مصر،وعندما غادر القطر المصرى تركها،فكانت النواة الأولى للطباعة فى مصر. ومن الطباعة ولدت الصحافة التى أصبح لها شأن عظيم جداً فى القطرالمصرى. وكانت أول جريدة ظهرت فى عهده جريدة Courrier de l'Egypte ظهرالعدد الاول منها فى ٢٩أغسطس سنة ١٧٩٨،ثم ظهرت جريدة Décade Egyptienne وصدر أول عدد منها يوم أول اكتوبرسنة١٧٩٨ .وفى سنة ١٧٩٩ ظهرت« الحوادث اليومية » التى ورد ذكرها فى الجبرتى،ثم ظهرت جريدة «التنبيه». وفى مدة ولاية محمد على باشا ظهرت« الوقائع المصرية » وكان ظهورها فى سنة ١٨٢٨ . ومن تاريخ ظهور الجرائد فى مصر بدأت النهضة المصرية بكيفية رائعة

بونابرت والقنال

قال المؤرخ الفرنساوى ادوار جوان حكاية عن اول استكشاف اجراه بونابرت فى منطقة القنال ما يأتي (وكان كثيراً ما يتردد بخاطر بونابرت ميل الى التغلب فى البحار على السيادة الانكليزية فيهـا . فأراد أن يوصل بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى بحفر برزخ السويس،وأن يتخذ هذا الطريق البحرى طريقاً عسكرياً الى بنغاله للقضاء فيها على خصوم الجمهورية . فجاء ذات يوم الى هذا البرزخ يحف به أعضاء المجمع العلمى لاستكشاف آثار الترعة القديمة التى كانت محفورة فى قديم الزمان لوصل البحرين . وقد وضع بنفسه العلامات على ماظهر من آثارها بالطرف الشمالى من الخليج العربى فى المكان الذى كانت قائمة به مدينة (أرسينوه) . ثم سار على الجسور البارزة القريبة من الساحل مدة ثلاثة أرباع الساعة مجتازاً نحو الخمسة فراسخ حتى وصل الى الحد الجنوبى الشرقى من البحيرات. ثم وجه وجهة أبحاثه نحوالطرف الآخر فاجتاز بالجهة الشمالية الغربية وعلى امتداد عشرة فراسخ ، وادى طوميلات ، غير أنه اضطر فى أثناء ذلك الى العودة الى القاهرة للزحف منها على الانكليز ، وعهد باتمام أبحاثه الى من كانوا معه من رفاقه . ومما لاحظته الجمعية العلمية ان أعظم عرض للترعة القديمة كان لا يتجاوز ٣٥متراً الى ٤٠ ، وان عمقـه يختلف من أربعة أمتار الى خمسة.

والمعروف ان الخلفاء الفاطميين هم الذين حفروا هـذه الترعة التى أراد قائد الجيش الفرنسى اعادة حفرها ليتخذها كما كان يقول قبراً للتجارة الانجليزية

«وبعد ان عبر بونابرت البحر الاحمر من مخاضة كان السير فيها ممكناً وقتئذ،أوغل فى البر الى مسافة فرسخ واحد ليزور عيون موسى، وهناك بحث طويلا فى هذه الثمانى عيون التى كان الماء ينبثق منها ساخناً،والذى يذهب اليه أهل هذه البلاد ان هذا المكان هو الذى ضرب فيه ذلك النبى العبرى الحجر فانفجرت منه تلك العيون التى يتفجر الماء منها ساخناً نقياً.ولما أراد القائد العام العودة من هذا المكان،وجد المخاضة قد غمرت بماء المد فانطلق يبحث عن مخاضة أخرى، واضطر أن يصعد الى أقصى الخليج بقصد التماس مسلك يؤدى الى الجهة التى كان يقصد اليها، غير أن الادلاء أخطأوا الحساب فيما يتعلق بامتداد المد .فنشأ عن ارتفاع الماء خطر كاد يؤدى الى كارثة عظيمة . وذلك لأن أحد العساكر حمل الجنرال بونابرت فجأة على كتفيه وحاول أن يجتاز المخاضة فكاد يبعث به الى قاع اليم ويلحقه فيها بفرعون موسى)

سنة ١٧٦٩و١٨٦٩

ولد محمد على باشا فى سنة ١٧٦٩ وفتح القنال فى سـنة ١٨٦٩ وبين التاريخين مائة سنة. و نابليون كذلك ولد فى سنة ١٧٦٩ ومثله ولنجتون الانجليزى. فكأن فتح القنال وقع فى العيد المئوى لميلاد محمد باشا الـكبير – ولميلاد نابليون –ولميلاد ولنجتون. وقعت هذه المصادفات الغريبة ولم يفطن لها أحد ، والا لـكان العيد عيد مولد محمد على باشا (عند المصريين) وعيد مولد نابليون (عند الفرنساويين) وعيد مولد ولنجتون (عند الانجليز) وعيد افتتاح القنال (عند العالم باسره)

محمد على ووالد دلسبس

كان أبو دلسبس قنصلا لفرنسا فى مصر ،فتوثقت عرى المودة بينه و بين محمد على باشا الـكبير.ومهدت مودة الأبوين الصداقة المتينة بين الأبنين– فرديناند ابن دلسبس

وسعيد ابن محمد على باشا ، على حد قول بعضهم (مودة الآباء قرابة بين الأبناء) إذ أن المغفور له سعيد باشا كان يحب فرديناند دلسبس حبا جما ، وكان يثق به ثقة لا حد لها . وكما كان والد دلسبس قنصلا لفرنسا فى مصر كذلك كان ابنه من بعده قنصلا لفرنسا فى ثغر الاسكندرية وفى مصر القاهرة . ولما مثل فرديناند دلسبس امام ساكن الجنان محمد على باشا لأول مرة التفت محمد على الى رجال حاشيته وقال مخاطباً دلسبس « إذا كنتُ أنا ما أنا اليوم فالفضل لأبيك . فاعتمد عليّ فى كل ما تريد »

يشير محمد على بهذا الى الحادثة الآتية : —

كانت فرنسا قد أرسلت والد فرديناند دلسبس الى مصر ليكون فيها ممثلها السياسى . فاشتدت المودة بين محمد على باشا و بين والد دلسبس لدرجة أن والد دلسبس أشار على حكومة فرنسا أن تطلب من الباب العالى الموافقــة على تعيين محمد على باشا والياً على مصر بناء على أنه أقدر الزعماء الذين يستطيعون وضع حد للفوضى الضاربة أطنابها فى مصر . وها ما كتبه (انى اعتقد أن البكباشى محمد على هو أقدر الزعماء الحاليين فى مصر . وهو وحده الذى يستطيع وضع حد للفوضى الفاشية فى البلاد). و يقول المؤرخون أن هذا الرأى الذى بلغ الى سفير فرنسا فى الاستانة كان له الأثر الفعال على السلطان وعلى رجال الباب العالى فى الموافقة على اختيار محمد على والياً على مصر

كيف نشأت فكرة حفر القنال

أما فكرة حفر قنال السويس فنشأت عند فرديناند دلسبس فى ظرف غريب . ذلك أن دلسبس كان قنصلا لفرنسا فى بلاد الجزائر . وفى أوائل ابريل سـنة ١٨٣٢ نقلته حـكومته وكيلا للقنصلية الفرنسية بثغر الاسكندرية . وعند ما وصلت الباخرة التى كانت تقــله الى مصر حجر عليها لأن الكوليرا كانت فاشية فى فرنسا . وفى أثناء مقامه فى الحجر الصحى أرسل اليه مسيو ميمو قنصل فرنسا العام بثغر الاسكندرية طائفة من الكتب اختارها من مكتبة القنصلية الفرنسوية بالثغر . فعثر دلسبس من ضمنها على تقرير المسيو لوبير Lepère رئيس فرقة المهندسين فى حملة نابليون بونابرت على مصر

وسماه (قنال البحرين) وفيه بحث فى امكان أو عدم امكان وصل البحرين الابيض والاحمر بواسطة حفر قنال السويس . ومن يوم أن أتم دلسبس قراءة تقرير مسيو لوبير اختمرت فى ذهنه فكرة حفر قنال يوصل البحرين . وانما لم تتمكن الفكرة من نفسه إلا فى سنة ١٨٤٩ — وهذه الفكرة هى التى جالت من قبل بخاطر سيتى الاول فرعون مصر . وبخاطر رمسيس الثانى . وبخاطر سيزوستريس أيضاً كما أثبت ذلك هيرودوت Hérodote أبو التاريخ واسترابون Strabon وديودور الصقلى Diodore de Sicile وبلين Pline العالم الرومانى الشهير . وكما جالت أيضاً بخاطر اسكندر الاكبر المقدونى ، وبخاطر يوليوس قيصر ، وبخاطر بعض البطالسة ، وبخاطر لويس التاسع ملك فرنسا (الذى هزمه وأسره المصريون فى معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ ميلادية) وبخاطر عمرو بن العاص ، وبخاطر نابليون ، وبخاطر محمد على باشا

ومن الغريب ان لوبير المهندس كان قد جزم فى تقريره باستحالة حفر القنال واستحالة وصل البحرين فترك نابليون هذا المشروع العظيم وقال «لندعه لتركيا فقد توفق يوماً ما الى تنفيذه فيكون لها الفخر وكل الفخر فى تنفيذ هذا المشروع العظيم »

محمد على والقنال

فوتح محمد على باشا فى أمر فتح القنال فرفض وقال قوله المأثور (اذا فتحت قنال السويس خلقت لمصر بسفوراً آخر يكون مطمع دول أوربا)

أربع مصادفات لطيفة

— أولاها . فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ظهرت قوس الله [1] (قوس قزح) عظيمة جدا فى سماء البحيرة متجهة من الشرق الى الغرب لم ير المصريون أزهى وأبهى منها . وعند ما وقع نظر سعيد باشا على هذه القوس لفت نظر دلسبس اليها ، فقال له دلسبس (هى العروة الوثقى التى سترتبط الشرق بالغرب . والعروة الوثقى هنا انما قنال

(١) روى عن ابن عباس انه قال لاتقولوا قوس قزح فان قزح اسم شيطان . ولكن قولوا قوس الله .

السويس) وعاد فبسط له تفصيل مشروع حفر قنال السويس كما بسط له المزايا العظيمة التى تجنيها تجارة العالم أجمع من شق الطريق من البحر الأحمر الى البحر الأبيض . فانصت سعيد باشا الى كلامه وقال له (انى اقتنعت وقبلت مشروعك . واعتبر المسألة قد انتهت . واعتمد عليّ فى كل شئ) وقد استعان دلسبس فى تنفيذ أغراضه بالمغفور له ذى الفقار باشا الكبير وكان له حظوة كبرى عند سعيد باشا . وكان دلسبس وذو الفقار باشا محيطين بسعيد فى سراى القبارى احاطة السوار بالمعصم . وماهى الا فترة من الزمان حتى أصدر سعيد باشا فرمان اعطاء امتياز حفر قنال السويس الى دلسبس . وكان ذلك فى يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤

— والثانيه . فى يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٥٤ لما وصل دلسبس الى القاهرة سكن فى «سراى المسافرين» ضيفاً على سعيد باشا . وكانت سراى المسافرين هذه هى مقر المجمع العلمى فى أيام حملة بونابرت. وفيها كانت تعقد جلسات اللجنة التى نيط بها وضع تقرير عن « قنال البحرين » . مصادفة غريبة أنه بعد ٥٠ سنة نزل فى هذه السراى من حقق أمنية لجنة العلماء

— والثالثة .انه عند ما اعتزم سعيد باشا معاينة السويس وأرض القنال سافر هو ودلسبس ومسيو موجيل Mougel ومسيو لينان Linant المهندسين . وكان بين مصر والسويس ١٥ محطة . تغدوا فى الرابعة . وتعشوا فى الثامنة ودخلوا الاخيرة فى ظهر اليوم الثانى . فقطعوا ٣٣ فرسخاً فى الصحارى فى يوم ونصف يوم . وفى مساء وصولهم وهو يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٥٤ حدث فى السماء حدث عظيم ألا وهو ظهور ضوء ساطع جداً أضاء سماء السويس وما حولها حتى بهر كل من رآه، فتهلل وجه سعيد باشا ووجه دلسبس بشراً وتفاءلا منه خيراً

— والرابعة . أن دلسبس عندما أبحر من مرسيليا الى الاسكندرية بعد ما الف الشركة ، كان اسم الباخرة التى أقلته « اوزيريس » وأوزيريس هذا اسم معبود قدماء المصريين (زوج ازيس وأبو هوروس) وكان اسمه رمزاً للخيرات والبركات فتفاءل دلسبس من هذه المصادفة اللطيفة

دلسبس فى السويس

فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٥٤ كان دلسبس فى السويس فدعاه مستر وست قنصل انجلترا فى السويس هو وصحبه لتناول العشاء . وكان العشاء مكونًا من لحمة ضأن من كلكتا . و بطاطس من بومباى . و بسلة من انجلترا . وفراخ من مصر . وماء من الهند . ونبيذ من فرنسا . وقهوة من اليمن . وشاى من الصين . وهنالك زار دلسبس المنزل الذى سكنه الجنرال بونابرت

البدء فى المشروع

وفى يوم ٢٥ فبراير سنة ١٨٥٩ ضرب دلسبس أول ضربة فأس فى أرض القنال ايذانًا بالشروع فى العمل. و بعد ١٠ سنوات وتسعة شهور احتفل بمهرجان افتتاح قنال السويس . وفى العشر السنوات تم حفر القنال كله وقد بلغ طوله ١٦٤ كيلومتراً ،وفرت على الملاحة ثلاثة آلاف ميل ،لان بين أوربا والهند ستة آلاف ميل ، فهبطت الى ثلاثة آلاف فقط . وأصبحت تجارة العالم تمر من البحر الابيض الى البحر الاحمر عن طريق قنال السويس،بعد ان كانت تدور حول رأس الرجا الصالح فتقطع ثلاثة آلاف ميل زيادة

تمثال دلسبس

أقامت الشركة فى مدخل القنال تمثالا فخما لدلسبس يشرف على القنال وعلى بور سعيد وعلى بور فؤاد . ترى دلسبس واقفًا باسطًا يده اليمنى كأنه يحيى الداخلين والخارجين بالكلمة المأثورة عنه : Aperire terram gentibus أى « يجب فتح الارض للعالمين »

تأليف الشركة وجمع الاموال

بعد ان اطمأن دلسبس واستحصل على عقد امتياز حفر قنال السويس سعى لجمع

المال اللازم للبدء بالاعمال التمهيدية . فاجتمع فى الحال مائة من أصدقائه دفع كل منهم ٢٠٠ جنيه — فجمعوا ٢٠٫٠٠٠ جنيه . حدث هذا فى سنة ١٨٥٥ وما درى أحد منهم أن الحصة التى كانت قيمتها ٢٠٠ جنيه فى البداية سترتفع قيمتها الى حد لا يحلم به مخلوق . اذ أن الحصة بعد ان كانت قيمتها ٢٠٠ جنيه ارتفعت فوصلت فى سنة ١٩٠٥ الى ٧٦٫٠٠٠ جنيه وهى تساوى اليوم ١٥٠٫٠٠٠ جنيه (١٩٫٦٠٠٫٠٠٠ فرنك)

وبعد ان أتم دلسبس الاعمال التمهيدية ألف شركة قنال السويس، وجعل رأس مالها مكوناً من ٤٠٠٫٠٠٠ سهم قيمة كل واحد منها ٢٠ جنيهاً مصرياً ، فيكون رأس المال ٨٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه . بعد ذلك قسموا السهم نصفين، فأصبحت اسهم الشركة ٨٠٠٫٠٠٠ سهم قيمة السهم الحالى منها الآن ٦٥ جنيهاً . فتكون قيمة السهم الاصلى ١٣٠ جنيهاً بعد ان كانت ٢٠

أحمر خطباء الحفر

اجتمع دلسبس فى باريس بأحد الوعاظ المشهود لهم بغزارة المادة وذلاقة اللسان، فدعاه ليخطب فى حفلة افتتاح قنال السويس ويبارك فى الوقت نفسه فى أعمال الشركة وفى القنال. فحضر الرجل هو وطائفة من اخوانه على نفقة الخديوى اسماعيل باشا وخطب فى الحفلة خطبة رنانة . أراد دلسبس أن يكافىء الرجل وفاتحه بالفعل فى الامر . فأجابه الخطيب « اللهم ان كانت المكافأة رسما لشخصك فانى أتقبلها بقبول حسن». فقال دلسبس « ان المكافأة أحسن من هذا . هى حصة من حصص التأسيس أقدمها لك بثمنها الاساسى. نعم ان حصة التأسيس هى الآن قصاصة من الورق ليست شيئاً مذكوراً. ولكن اذا كتب الله للشركة النجاح استحالت هذه الورقة الى كنز » أبت نفس هذا الرجل أن تتقبل المكافأة . وقد مد الله فى عمره فرأى قيمة الورقة التى رفض اخذها بمائتى جنيه قد بلغت بعد ٤٣ سنة ٦٠٫٠٠٠ جنيه . فتأمل !

واليك الحديث كما رواه أحد المؤرخين :

"Vous allez parler, lui dit-il, pour nous et de nous. Je ne sais pas ce que vous direz ; mais il est à croire que vous ne casserez pas du

sucre sur nos têtes. C'est en ami que vous traiterez vos amis. En bien puisque le commun proverbe assure que les petits cadeaux entretiennent l'amitié, je vous prierai d'accepter que je vous fasse, moi aussi, un petit cadeau."

— Lequel? Votre portrait? J'en serai ravi.

— Non "quelque chose de plus substantiel, Nous avons créé, comme toutes les sociétés similaires, des parts de fondateurs Je vous en offre une, au prix d'émission. Pour le moment, ce n'est qu'une feuille de papier; mais, peut-être, un jour, et la chose est possible, deviendra-t-elle une fortune."

Par un désintéressement, dont il ne soupçonnait guère, à cette minute là, toute l'étendue et qu'il regretta, l'heure venue, d'en sentir le prix, comme une sottise énorme, Bauer refusa Et ce papier, qu'il avait écarté de sa main de prélat avec une grandeur d'âme malheureuse, il sut quarante trois années après, qu'il valait un million et demi, simplement."

شهر نوفمبر ودلسبس والقنال

من غريب المصادفات أن يكون شهر نوفمبر هو الشهر الذى تقع فيه كبار الحوادث المتعلقة بدلسبس وبالقنال . اقرأ واحكم :

١٩ نوفمبر سنة ١٨٠٥ يوم ميلاد دلسبس (وفى هذه السنة ايضاً عين محمد على والياً على مصر)

١٥ نوفمبر « ١٨٥٢ خطاب دلسبس الى قنصل هولاندا باسكندرية مظهراً أسفه على رفض عباس باشا والدولة العلية مشروعه حفر القنال

اول نوفمبر « ١٨٥٤ الميعاد الذى عينه سعيد باشا لدلسبس ليحضر الى مصر ويقابله لأول مرة (بعد موت عباس باشا وبعد فراقهما الطويل)

٧ نوفمبر « ١٨٥٤ وصل دلسبس الى الاسكندرية واستقبله حافظ باشا ناظر البحرية من قبل سعيد باشا

١٣ نوفمبر « ١٨٥٤ خلا دلسبس بذى الفقار باشا وحدثه فى موضوع القنال

١٥ نوفمبر « ١٨٥٤ ظهور قوس قزح فى سماء البحيرة متجهاً من الغرب الى الشرق وقبول سعيد اقتراح دلسبس

١٥ نوفمبر « ١٨٥٤ تقرير دلسبس الى سعيد باشا

٢٤ نوفمبر « ١٨٥٤ وصول دلسبس الى القاهرة ونزوله ضيفاً على سعيد باشا فى المنزل الذى كان معـداً لسكنى العلماء الذين رافقوا بونابرت فى حملته على مصر

٢٥ نوفمبر « ١٨٥٤ حفلة التشريفات بالقلعة واستقبال سعيد باشا قناصـل الدول واخطارهم بعزمه على حفر القنال . وفيها جلس سعيد باشا على ذات الديوان الذى كان جالساً عليـه والده من قبل ومنه قص على دلسبس حكاية مذبحة المماليك .

٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ وقع سعيد باشا على فرمان الامتياز

١٨ نوفمبر « ١٨٥٥ وصلت اللجنة الدولية المؤلفة من كبار المهندسين للتحقق من أمر إمكان أو عدم امكان حفر قنال السويس

٢٣ نوفمبر « ١٨٥٥ قدم دلسبس أعضاء لجنة المهندسين الى سعيد باشا واحتفى بهم سعيد احتفاء عظيما جداً . ولما قال له دلسبس أنه احتفى بهم احتفاءه بالرؤوس المتوجة — اجابه سعيد : « يجب أن أحتفى بهم كذلك لأن العلم توج رؤوسهم »

١٥ نوفمبر « ١٨٥٨ بدء الاكتتاب فى أسهم شركة القنال

١٥ نوفمبر « ١٨٥٩ وهو يوم عيد القديسة أوجينى وفيه اجتمعت أول جمعية عمومية للمساهمين

١٥ نوفمبر « ١٨٦٠ وصلت اعمال الحفر الى بحيرة التمساح وجرت المياه وسارت المراكب وعمل مهرجان عظيم حضره دلسبس وأمراء مصر وكبرائها وعلمائها، وخطب دلسبس بالنيابة عن سعيد باشا قائلا « بالنيابة عن سعيد باشا آمر بدخول مياه البحر الابيض فى بحيرة التمساح » — و١٥ نوفمبر هذا هو عيد الامبراطورة أوجينى زوجة أمبراطور فرنسا، وعيد ميلاد توفيق باشا الخديوى (لأنه ولد فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٥٢)

اول نوفمبر «	١٨٦٩	افتتاح الاوبرا
١٥ نوفمبر «	١٨٦٩	فتح القنال واتصال البحر الابيض بالبحر الاحمر
١٧ نوفمبر «	١٨٦٩	مهرجان افتتاح قنال السويس. وبدء سريان مدة الامتياز
٢٥ نوفمبر «	١٨٧٥	بيع أسهم مصر الى انجلترا
١١ نوفمبر «	١٩١٨	عقد الهدنة بين الدول بعد الحرب الكبرى ومبدأ رواج القنال بعد الكساد طول الحرب
١٦ نوفمبر «	١٩٦٨	إنتهاء أجل الامتياز

انجلترا وقنال السويس

كانت انجلترا معادية لمشروع حفر قنال السويس . حاربت المشروع بكل ما كان عندها من دهاء وقوة ومال . حاربته فى مصر وفى الاستانة وفى باريس. وسعت لدى الدول جمعاء لاكراه تركيا على عدم الاذن لدلسبس فى حفر القنال . ولم تدخر حيلة من حيلها السياسية لاحباط المشروع الا استعملتها . ولكن عداءها لم يفدها شيئاً. وقد ندمت فيما بعد وعرفت خطأها وخطأ ساستها وخطأ رجال الاعمال ورجال المال فيها . ولم ينفرد فى انجلترا كلها لتحبيذ المشروع سوى المستر غلادستون . إذ أنه لما سافر دلسبس فى سنة ١٨٥٥ الى انجلترا ليستميل الحكومة الانجليزية ويذلل العقبات التى أقيمت فى سبيله وجد لورد كلارندن وزير الخارجيــة معادياً للمشروع على خط مستقيم ومتعصباً ضده تعصباً أعمى . فتركه وقصد مستر غلادستون وبسط له الفكرة فقال له غلادستون (لا تبال بما ستلاقيه من العقبات فى بلادى وفى غيرها . استمر فى عملك وداوم ولا تتوان . وبعد ان تنجح سيعرف الانجليز أن قنال السويس نافع جداً لانجلترا لدرجة أنك ستلقى كل تعضيد وتشجيع . وفى انجلترا التى تناوئك العداء الآن سيضعون على رأسك فيما بعد اكاليل المجد والفخار) وقد صدقت فراسته. فان دلسبس بعد ان فتح القنال سافر الى أوربا فاستقبلته فرنسا استقبالا باهراً جداً ومنحته جميع الدول القاب الشرف . وفى سنة ١٨٧٠ دعته الملكة فكتوريا لزيارة بلادها .

فاستقبله الشعب الانجليزى كما تستقبل الرؤوس المتوجة . وخطب الوزراء فى مجلس العموم مادحين عمل دلسبس ورفعوا قدره الى أعلى عليين . ومن ضمن المآدب التى أقيمت له مأدبة عظيمة جداً أقامها له محافظ لندن فى بهو جيلد هول . وفى آخر الحفلة قام خطيباً وقال له (سنكتب اسمك فى سجل اسماء اعاظم الرجال الذين عادت أعمالهم على الانسانية بالخير والبركات ولم تلوثها قطرة دم) ومنحه فى ذلك اليوم حق التمتع بجميع حقوق أبناء مدينة لندن السياسية . ثم دعته الملكة فكتوريا لزيارتها فى قصر وندسور وكان المستر غلادستون رئيس مجلس الوزراء حاضراً . فأنعمت الملكة على دلسبس بنجمة الهند من الطبقة الاولى . وكان ابنها ادوارد ولى العهد وقتئذ وأخوه أرثر حاضرين . فتقدم ولى العهد وقلد دلسبس قلادة نجمة الهند بينما كانت الملكة فكتوريا تضع بيديها على صدره النشان المرصع . ومن ضمن الحفلات الكبرى التى أقيمت له حفلة فى كريستال بالاس المعبر عنها بسراى البلور انتهت بألعاب نارية كثيرة منوعة كان ختامها ظهور اهرام هائلة ملونة بألوان الذهب كتب على أحد جوانبها باللغة الانجليزية « انجلترا تقدم تهانيها القلبية الى دلسبس »

ولما احتفل فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ بمرور ٦٠ عاماً على افتتاح قنال السويس ، كتب السير هول كاين الكاتب الروائى الانجليزى المشهور يقول – مشيراً الى تهديد تركيا بتدمير قنال السويس فى أثناء الحرب الكبرى – (لايسعنى أن أتصور نكبة أشد إيذاء للانسانية وأعظم ضرراً بسلام العالم منذ حادثة الطوفان حتى الآن من تدمير قنال السويس)

دلسبس ولورد بالمرستون

فى ٧ يوليو سنة ١٨٥٧ دارت مناقشة حادة فى مجلس النواب الانجليزى بخصوص حفر قنال السويس وفيها تعرض لورد بالمرستون لشخص دلسبس بعبارات جارحة . واليك سؤال مستر بركلى عضو مجلس النواب الانجليزى وجواب لورد بالمرستون كبير وزراء انجلترا :—

مستر بركلى — اطلب من كبير الوزراء أن يفيدنا عما اذا كانت حكومة جلالة

الملكة تنوى استعمال نفوذها لدى صاحب الجـلالة سلطان تركيا ليعضد والى مصر ويصادق على الفرمان الذى طلب منـه لشق قنال السويس وهو القنال الذى سبق ان منح سعيد باشا امتيازه الى مسيو فرديناند دلسبس وحبذته مدن هذه البلاد الصناعية والتجارية وموانيها ومرافئها . وان كان لدى الحكومة ما يبرر اعتراضها على حفر القنال فنرجو من كبير الوزراء أن يبين لنا وجوه المعارضة

لورد بالمرستون — « ليس فى وسع حكومة جلالة الملكة أن تستعمل نفوذها لدى السلطان لتغريه على الاذن بشق قنال السويس . لان حكومة جلالة الملكة استعملت ما لديها من نفوذ فى بحر الخمس عشرة سنة الماضية لاحباط هذا المشروع – وفى اعتقادى أن هذا المشروع من الوجهة التجارية لا يمكن اعتباره الا من قبيل المشروعات التى يقصد بها السطو على عقول السـذج من أرباب الاموال لاغتيال أموالهم . ومن فكرى أن هذا المشروع يستحيل إمكان تنفيذه ماديًا اللهم الا اذا أنفقت فى سبيل تنفيـذه أموال طائلة جداً لا تتناسب مع الربح الذى يؤمل منـه . ومن ينفق ماله فى مثل هذ المشروعات سيرى آماله قد خابت بطريقة مريعة . على أن هـذا ليس هو السبب الرئيسى الذى يحمل الحكومة على معارضة هذا المشروع لان الناس أحرار فى استغلال مصالحهم الخاصة كيفما شاؤوا . فاذا ما اندفعوا فى مثل هذه المشروعات الوهمية فهم الذين يتحملون وحدهم عاقبة طيشهم . الا أن المشروع فيه ضرر كبير على مصالح انجلترا وينافى الخطـة السياسية التى جرت عليها انجلترا من قديم الزمان بالنسبة الى علاقات مصر بتركيا – تلك السياسة التى أيدناها بقوة السلاح وبأحكام معاهدة باريس . لان الغاية السياسية التى يرمون اليها من شق قنال السويس انما تسهيل فصل مصر عن تركيا وفتح طريق سهل يصلون منه الى أملاكنا فى الهند . ولا يمكننى أن أصرح تصريحًا أجلى من هذا . ان الغاية من شق القنال ظاهرة لكل من يفكر مليًا فى المشروع . وانى مندهش من أن مسيو فرديناند دلسبس يبنى آماله على سذاجة ارباب الاموال الانجليز ، ويظن أنه ينجح بنصب فخ لاقتنـاص الاموال الانجليزية لتنفيذ مشروع مضاد لمصالح الانجليز أنفسهم بمجرد ما يقوم فى بعض البلاد الانجليزية خطيبًا ليستميل اليه السامعين »

وكان مستر روبرت ستيفنسن المهندس احد أعضاء البرلمان حاضراً فانضم الى لورد بالمرستون بقوله « أنضم الى ما قاله كبير الوزراء »

وبمجرد وصول جرائد انجلترا الى فرديناند دلسبس فى باريس خف فوراً الى لندره وكتب خطاباً شديد اللهجة الى مستر ستيفنسن طلب اليه فيه اما سحب كلامه واما المبارزة . فرد عليه مستر ستيفنسن بتاريخ ٢٨ يوليهسنة ١٨٥٧ بجواب رقيق قال له فيه « حاشا أن أفوه بكلمة تمس كرامتك وكل ما قلته انما تعبير عن عقيدتى فى المشروع من حيث هو لانى معتقد أن حفر قنال السويس غير ممكن ماديًا »

ولما شاع خبر تهجم لورد بالمرستون على كرامة دلسبس ورد دلسبس ، هبت الجرائد وطعنت فى لورد بالمرستون وقالت ان تعرض لورد بالمرستون لدلسبس كان « قلة أدب ووقاحة ليس بعدها وقاحة لا يليق أن تصدر من رجل شريف »

"Les allusions faites à sa personne par Lord Palmerston sont un manque de bienséance, une impertinence sans nom, tout à fait indigne d'un gentleman."

دلسبس ولورد ستراتفورد

كان لانجلترا فى الاستانة سفير فى غاية الغطرسة والجبروت والاستبداد .وكان له نفوذ كبير على رجال المابين لدرجة أنه كان يولى من يشاء و يعزل من يشاء من كبار الموظفين —وهذا سبب تسميه «بالسلطان ستراتفورد».وكان من اكبر أعداء مشروع القنال . و بالرغم من كبريائه وجبروته لم يبال دلسبس به . وها نص حديث جرى بينهما فى دار السفارة

"Monsieur de Lesseps, toutes vos explications sont fort bonnes, et certainement, si vous réussissez, la chose est assez grande et assez belle pour qu'elle vous fasse le plus grand honneur, mais elle ne sera réalisable que dans cent ans. Le moment est inopportun."

Je lui répondis :

"Mylord, si l'affaire est inopportune pour vous qui ne la voulez pas, elle est opportune pour moi qui la veux, et puisque vous avouez, vous-même, qu'elle sera utile et qu'elle me fera honneur, pourquoi la renvoyer

à cent ans? Comme à cette époque je ne pourrais pas la voir faite, et que j'ai une foi complète dans la possibilité de sa prochaine exécution, je suis pressé d'en jouir. Vous-même, vous devriez être encore plus pressé que moi."

وقد ثبت من وثيقة رسمية مؤرخة سنة ١٨٤٠ نشرها مستر اوركارت Urquart سكرتير أول السفارة البريطانية فى الاستانة العلية أن لورد بنسمبى Lord Ponsomby سفير انجلترا لدى الباب العالى كتب الى الصدر الاعظم ما يأتى حرفياً « ان الغاية التى ترمى اليها سياسة انجلترا والباب العالى يجب أن ترمى الى طرد محمد على وذريته عراة فى الصحراء . . . »

"Le but de la politique de l'Angleterre et de la Porte, devait être de renvoyer nus dans le désert Méhémet-Ali et toute sa descendance."

نبوة لدلسبس

ذلك أنه كان كتب لمستر كوبدن أحد أعضاء البرلمان الانجليزى (ليستميله الى تعضيد مشروع حفر القنال) « ان مصلحة انجلترا فى حفر القنال تعادل مصالح الدول جميعها » وقد صدقت نبوته. لان عدد البواخر التى اجتازت القنال فى سنة ١٩٢٨ بلغ ٦٠٨٤ كان منها ٣٣٩٣ انجليزية (أى اكثر من مجموع عدد بواخر الدول جمعاء)

سعيد باشا وعصاه

كان لسعيد باشا عصاوان . عصا أهداها له دلسبس ، وعصا أهداها له أميرال انجليزى . وكثيراً ما كان يتفق أن يتحدث دلسبس الى سعيد باشا فى أشغال قنال السويس فى حضرة أناس كانوا يكرهون القنال ويحاربون مشروعه . ففى ذات يوم التفت سعيد باشا الى دلسبس وقال له « قد يتفق أحياناً أن تحدثنى فى شؤون القنال فى حضرة أناس قد ينقلون أحاديثنا فى أوقات غير لائقة اضراراً بالمشروع. فلمنع هذا فى المستقبل أوصيك بأن لا تحدثنى فى شؤون القنال كلما وجدت معى عصا الاميرال الانجليزى، ولك أن تحدثني فى شؤون القنال كيفما تشاء اذا وجدت عصاك فى يدى »

القنال والمدن الجديدة

اوجد القنال ثلاث مدن كبيرة . بور سعيد والاسماعيلية والسويس . فالاسماعيلية التى أنشئت فى سنة ١٨٦٣ إنما وجدت من العدم وقد بلغ عدد سكانها اليوم ٢٥١٩٤ حسب احصاء سنة ١٩٢٧ . أما بور سعيد فبنيت على اطلال مدينة الطينة، وبعد ان كان عدد سكانها قليلا جداً فى بداية أعمال حفر القنال، أصبح عدد سكانها الآن ١٠٤٦٠٣ - كذا مدينة السويس قامت على أطلال مدينة القلزم، وبعد ان كان عدد سكانها ٣٠٠٠ نفس أصبح الآن ٤٠٣٠٩

يضاف الى هـذه المدن الثلاثة مدينة « بور فؤاد » التى تأسست من سنتين ويدخر لها المستقبل حظ كبير من العمران ، و «بور توفيق» وتكاد تكون ضاحية من ضواحى مدينة السويس ، « وبور ابراهيم» ولم تعمر طويلا

اسماعيل باشا والقنال

عندما تبوأ اسماعيل باشا عرش مصر اكد لدلسبس أنه من أكبر أنصار القنال. وقد ورد هـذا التأكيد فى كتابات دلسبس مرتين . مرة فى الخطاب الذى أرسله بتاريخ ١٤ فبراير سنة ١٨٦٣ الى دوق البوفيرا نائب رئيس شركة قنال السويس . ومرة فى الخطاب الذى أرسله اليه بتاريخ ١٠ مارس سنة ١٨٦٣ . ففى الخطاب الاول ورد ما يأتى حرفياً : « أنا فى مصر القاهرة من منذ ستة أيام . وقد قابلت مرات عدة صاحب السمو اسماعيل باشا وقد اكد لى سموه مراراً أنه لا يكون جديراً بتبوؤ عرش مصر اذا لم يكن قنالياً (١) اكثر منى »

"Je suis depuis six jours au Caire, où j'ai eu de fréquentes entrevues avec S.A. Ismail-Pacha. Ce prince ne cesse de me répéter qu'il ne serait pas digne d'être vice-roi d'Egypte s'il n'était pas plus canaliste que moi-même."

---

(١) اى من حزب مشروع القنال

وفى الخطاب الثانى قال « ان رحلة سمو الخديوى كانت طيبة جداً لنا . ويمكننى أن ألخصها لك بالكلمات التى فاه لى بها سموه عندما ذهبت لتهنئته (لو كنتَ أنتَ خديو مصر وفى الوقت رئيس شركة القنـال ما كنتَ استطعتَ أن تعمل لمصلحة القنال اكثر منى) »

„Le voyage du vice-roi a été excellent pour nous. Je le résume par les propres paroles de Son Altesse, lorsque je suis allé la féliciter: "Vous auriez été vice-roi d'Egypte, en même temps que président de votre Compagnie, que vous n'auriez pas mieux fait les affaires du canal de Suez."

دلسبس وروتشيلد

ومن الحوادث المستطرفة ان دلسبس كان نصح له أن يستعين بمحل روتشيلد لجمع الاكتتابات. فقصد اليه ذات يوم وأسر اليه أمره وقال أنه يريد أن يجمع ثمانية ملايين من الجنيهات لمشروعه. فتهلل وجه روتشيلد بشراً وقال له (ان خزائن بيت روتشيلد فى باريس وفى غير باريس مفتوحة كلها لك ولمن يريد أن يكتتب فى مشروعك) فشكر له دلسبس قبوله. ولكن قبيل أن ينصرف خطر ببال دلسبس أن يسأل روتشيلد ان كان هذا العمل له مقابل أو لا . فأجابه روتشـيلد (يظهر أنك لست رجلا محنكا فى الاعمال المالية .لان العرف جرى على أن نتقاضى ٥ ٪ بصفة عمولة) فبهت دلسبس وقال له (ان ٥ ٪ على ٨٠٠٠٠٠٠ جنيه عبارة عن ٤٠٠٠٠٠ جنيه، وأخذ ٤٠٠٠٠٠ جنيه من أموال المكتتبين لمجرد حضورهم فى دهاليز البنوك المظلمة لدفع قيمة الاكتتاب شىء لا أرضى به أبداً . أنا أفضل ان استأجر محلا أدفع إيجاره ٥٠ جنيهاً فى الشهر ولا ألجأ الى مصارفك).فقال له روتشيلد(ان فعلتَ هذا فلن تنجح) فأجابه دلسبس « سنرى ». وبعد يومين استأجر دلسبس مكتباً فى ميدان فاندوم بباريس فانهالت عليه الاكتتابات وبلغت اكتتابات القائمة الاولى مبلغاً غطى قيمة ٢٢٠٠٠٠ سهم

وبالنظر للحرب الشعواء التى كانت قد أثارتها انجلترا على مشروع دلسبس زادت الحماسة فى نفوس الفرنساويين لدرجة عظيمة جداً حتى حملت بعض الفرنساويين على

الاكتتاب بدون أن يعلموا عن موضوع المشروع شيئاً . يحكى أن امرأة عجوزاً شمطاء عوراء عرجاء حضرت لمكتب الاكتتابات وطلبت (الاكتتاب فى مشروع انشاء سكة حديد فى جزيرة السويد) فأجابها العامل بأن المشروع ليس مشروع سكة حديد بل حفر ترعة ، وليس فى جزيرة بل فى برزخ ، وليس محله السويد بل محله السويس. فأجابته المرأة على الفور (ان يكن المشروع حفر ترعة أو مد سكة حديد . فى جزيرة أو فى برزخ. فى السويد أو فى السويس . هذا لايهمنى.يهمنى أمر واحد فقط . ما دام المشروع يغيظ الانجليز فأنا اكتتب)

وحضر قسيس للاكتتاب فسئل عن غرضه فقال (بصفتي فرنساويًا اكتتب . لانى اعتبر أن حفر القنال فيه أخذ بالثأر من واقعة واترلو)

شجاعة سعيد باشا والقنال

كانت فكرة إنشاء القنال راسخة فى نفس سعيد باشا رسوخًا لم تستطع انجلترا ولا تركيا نزعها ولا زعزعتها منه. و بالرغم من عدم صدور اذن من الباب العالى يخول سعيد باشا حق اعطاء الامتياز الى دلسبس، فان سعيد أعطاه له بحجة أن موافقة الباب العالى ليست لازمة، وان طلبها فمن باب المجاملة فقط

وعندما مثل أمامه مستر جرين قنصل انجلترا فى ثغر الاسكندرية وكلمه فى أمر الامتياز الذى أعطاه لدلسبس وطلب اليه أن يستنكر المساعى التى يعملها دلسبس باسم سموه، التفت اليه سعيد باشا وقال له « يظنون فى أوربا أن دلسبس وحده هو صاحب مشروع قنال السويس. وهذا وهم باطل. لأنى أنا صاحب هذا المشروع وأنا الموعز به. أما دلسبس فجميع الاعمال التى عملها حتى الآن انما كانت تنفيذاً لاوامرى . واذا سألتني عن السبب الذى حملنى على ذلك فأجيبك بكل صراحة انه مجرد الرغبة فى أن يكون لحكومتى شرف تولى هذا العمل. وأن أخلد اسمى بتنفيذ هذا العمل العظيم. وفى الوقت نفسه أقوم بخدمة المصالح الحقيقية لسلطنة آل عثمان . وقد اكسبنى عملى هذا رضاء جميع شعوب أوربا.وأنت تعلم أن معظم الدول الكبرى ترغب فى شق برزخ السويس»

فأجابه مستر جرين قائلا « فليسمح لى سموك بأن أوجه نظرك الى أنه اذا كانت

فرنسا و بعض الدول قد أظهرت ارتياحها الى هذا المشروع ، فان مجلس وزراء انجلترا قد أبدى سخطه جهاراً بناء على أن حفر القنال يضر بمصالح انجلترا » (١)

فأجابه سعيد باشا « أنا مصمم على أن أداوم السير فى الخطة التى اتبعتها حتى الآن وأن أعمل كل ما أستطيع عمله لأعجل تنفيذ هذا المشروع الذى يرغب الكل فى تنفيذه »

واليك نص الحديث كما رواه دلسبس نفسه :-

Said Pacha répondit: "C'est à tort qu'en Europe on a attribué à M. de Lesseps seul le percement de l'isthme de Suez, c'est moi qui en suis le promoteur. M. de Lesseps, dans tout ce qu'il a fait jusqu'à ce jour, n'a fait que suivre mes instructions.

"Vous allez sans doute me demander quel est le motif qui m'a déterminé; je vous repondrai franchement que c'est le désir d'honorer mon gouvernement, d'illustrer mon nom et de servir en même temps les véritables intérêts de l'empire Ottoman. Je me suis acquis par ce fait les sympathies de tous les peuples de l'Europe. Vous savez que la plupart des grandes puissances s'intéressent au percement de l'isthme de Suez.

"-Que Votre Altesse, répliqua M.Green, me permette de lui faire observer que si la France et d'autres puissances se sont montrées favorables à ce projet, il a été hautement désapprouvé par le Cabinet Anglais comme étant contraire à ses intérêts.

---

(١) يقول هذا ١ــ بالرغم من اجماع اعضاء اللجنة الدولية التى تألفت لفحص مشروع دلسبس على ان مشروع حفر القنال ليس فقط ممكناً بل سهل التنفيذ، ٢ــ وبالرغم من كون اللجنة مشكلة من ١٣ مهندساً من اعظم مهندسي اوربا كان منهم ٣ من الانجليز والباقون من الفرنساويين والنمساويين والايطاليين والاسبانيين والالمان والهولانديين وقد اشتغلوا سنتين كاملتين فيهما درسوا ارض القنال متراً متراً بل شبراً شبراً وانتهوا بالقول بامكان حفر القنال، ٣ــ وبالرغم من اتفاق ١٣ مدينة من مدن انجلترا واسكتلندا على مطالبة حكومة انجلترا بمساعدة دلسبس ٤ ــ وبالرغم من ظهور كتاب قيم جداً الفه مهندس انجليزى كبير اسمه James Wetch اعلن فيه بامكان حفر القنال وحض الحكومة الانجليزية بالاسراع فى تنفيذ مشروع حفر القنال بمالها بدون اشتراك احد معها .

"-Je suis décidé, reprit le Vice-Roi, à persévérer dans la ligne de conduite que j'ai suivie jusqu'ici et à faire tout ce qui dépendra de moi pour accélerer l'exécution d'un projet dont on désire généralement l'exécution."

ودلسبس نفسه أعلن مراراً أن الفضل فى شق قنال السويس يرجع الى سعيدباشا. واليك ما قاله حرفيًا :

"Quant à moi, je ne regarde pas l'affaire actuelle du canal de Suez comme la mienne: c'est celle du vice-roi d'Egypte d'abord; ce sera ensuite celle de tout le monde."

تركيا ومصر

كانت تركيا ميالة الى معاكسة مشروع قنال السويس لان العلاقات بينها وبين مصر كانت فى ذلك الوقت غير مرضية . لان محمد علي باشا كان قاتل السلطان وهزم جيوشه فى ثلاث معارك هائلة فى سنة ١٨٣٢ و١٨٣٣ و١٨٣٩ وكان مرابطًا على بعد ستةأيام من الاستانة . وعندما رأت دول أوربا انتصار الجيوش المصرية على الجيوش التركية تدخلت وانتهت الحرب بمعاهدة كوتاهية المؤرخة ١٤ مارس سنة ١٨٣٣ التي بها بسط محمد على باشا ملكه على سوريا وسلخها من سلطنة آل عثمان. اضمر السلطان سوءاً لمحمد على وتربص ست سنوات ثم أمر جيوشه بالزحف على سوريا . فلاقتها جيوش محمد على تحت أمرة ابراهيم باشا وهزمتها شر هزيمة حيث أسرت ٩٠٠٠ أسير واستولت على ٢٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠ مدفع وانتهت الحرب الثانية بمعاهدة سنة ١٨٤١ التي فيها اعترفت تركيا بانحصار الولاية على مصر فى ذرية محمد على باشا وقبل محمد على أن يرد سوريا الى السلطان . فكانت هذه الظروف وما تلاها قد عكرت العلاقات الودية بين مصر وتركيا . وكانت تركيا تتحفز دائمًا لانتهاز الفرص لمعاكسة مصر. وهذه الظروف هى هى بنفسها التي كانت تتوكأ عليها انجلترا للضغط على السلطان ليرفض الاذن بحفر قنال السويس .

نابليون الثالث والقنال

هاج غضب الانجليز عندما علموا أن الامبراطورة أوجيني زوجه نابليون الثالث تشد أزر دلسبس لضمان نجاح مشروع حفرالقنال وان فرنسا كلها تؤيد دلسبس بكل قواها . وكان نابليون الثالث يقول لدلسبس كلما شكا له خور عزيمة رجال السياسة فى أوربا إزاء مشروعه « كن قويًا يساعدك الناس وأنا أولهم »

وتركيا فى ذاك العهد كانت كلما همت باعطاء دلسبس فرمان الامتياز بحفر القنال تعترضها دسائس انجلترا فتحجم عن اصدار الفرمان . حدث أن مجلس وزراء الدولة عقد فى سنة ١٨٥٩ ست عشرة جلسة لبحث مشروع القنال،فوافق الوزراء جميعًا عليه وأعلنوا أن فى حفر القنـال مصلحة كبرى لتركيا لأنه يقرب المسافة بينها و بين بلاد العرب والهند . ولكن بالرغم من صدور هـذا القرار فان انجلترا تمكنت بدهائها من احباط مسعى دلسبس لدى الباب العالى فاوقف اصدار الفرمان . حدث بعد ذلك أن سافر نابليون الثالث فى ٣٠ ابريل ١٨٦٥ الى مارسيليا ليبحر منها الى بلاد الجزائر على يخته « النسر » وكان بين رجال السياسـة الذين وفدوا على مارسيليا لاستقباله فؤاد باشا الصدر الاعظم الذى تصادف وجوده وقتئذ فى جنوب فرنسا للاستشفاء. فكان كلما تقدم للسلام على نابليون الثالث كان نابليون يثنى عنه و يولى وجهه شطر الآخرين. عند ذلك دنا فؤاد باشا وسأل الامبراطور ان كان فى نفسه شىء يستوجب غضبه عليه أو على حكومته. فالتفت اليه نابليون ورد عليه بكلمة واحدة فقط هى «أين الفرمان». وقد كان وصدر الفرمان فى ١٩ مارس سنة ١٨٦٦

نجاشى الحبشة ودلسبس

لما اتصل بعلم النجاشى تيكاس ملك الحبشة بأن دلسبس عزم على شق قنـال السويس ليوصـل البحر الابيض بالبحر الاحمر كتب اليه خطابًا رقيقًا جداً قال له فيـه « انى على يقين بأننى لا أستطيع أن أغير العادات الوحشية التى تسربت فى خلال القرون الماضية الى بلاد الحبشة وانهض ببلادى نهضة كبيرة الا عندما يتم وصل

البحر الابيض بالبحر الاحمر . اذ أنه عندئذ فقط ينفتح أمام بلادى باب المدنية الغربية وتتصل بلادى بتجارة أوربا . وكى أطابق أفعالى بأقوالى قد أصدرت أمراً بتحريم التمثيل بالاعداء الذين يقعون جرحى أو موتى فى أثناء الحرب . كما أنني أبطلت تجارة الرقيق فأصبحت هذه التجارة الممقوتة أثراً بعد عين فى جميع بلاد التجرة وسمن وجميع الولايات التى خضعت لبلاد الحبشة حتى البحر الاحمر . . . . » الى ان قال « ويمكنك أن تعتمد علىّ فى كل ما يسهل أعمالك لتفوز بوصل البحرين »

مدة الامتياز

— كان أشير على دلسبس أن يطلب من سعيد باشا أن يكون امتياز حفر القنال مؤبداً ولكنه اكتفى بجعل المدة ٩٩ سنة. وكان وزراء الدولة العلية يريدون أن يكون الامتياز لمدة ٦٠ سنة فقط . وقد أرادت تركيا أن تشترط عودة ملكية القنال برمته بعد انتهاء مدة الامتياز الى الدولة العلية لا إلى مصر . ولكن سعيد باشا أجابها بأنه لا يفهم كيف أن رجال الدولة يفرقون بين مصر وتركيا ومصر جزء منها . وبهذه المناورة اللطيفة تقرر عدم النص على هذا الشرط فى عقد امتياز القنال

قوة ارادة دلسبس

اشتد الجفاء بين انجلترا وفرنسا بسبب مشروع حفر القنال لدرجة توترت فيهما العلاقات بين لندرة وباريس ،وخيف أن تعلن الحرب بين فرنسا وانجلترا . وكانت الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث قد أخذت تحت رعايتها وحمايتها دلسبس ومشروعه .بسبب فرنساوية المشروع من جهة وصلة القرابة التى كانت تربطها بدلسبس (من جهة الام) من جهة أخرى . فكلف نابليون الثالث زوجته الامبراطورة اوجينى بأن تبلغ دلسبس عزمه على وقف المشروع . فكتبت له الكلمة الآتية (ان الامبراطور كلفنى بأن أخبرك بأنه ينبغى أن نترك أمانينا فى المشروع . لان متابعة السير فيه يترتب عليها الحرب بين فرنسا وانجلترا . فعلى آمالنا وأحلامنا السلام)

"L'Empereur me charge de vous dire qu'il faut renoncer à notre chimère; la poursuivre, ce serait déchaîner la guerre entre la France et l'Angleterre. Adieu, notre beau rêve."

وقعت هذه الكلمة فى روع دلسبس كجذوة نار كادت تحرقه . ولكن قوة ارادة دلسبس احتملت هذه الصدمة . فقرر فى الحال السفر الى انجلترا وقال لصديقه قنصل هولندا الذى كان قد أخذ يواسيه (سأسافر الى انجلترا بعد عشر دقائق. وسأجتهد فى إقناع الانجليز بوجوب فتح هـذا الطريق الذى أرادت الطبيعة أن تسده فى وجه تجارة العالم.وسأنتقل من بلدة الى بلدة ومن قرية الى قرية وعند الضرورة من دار الى دار وأقوم خطيباً بين آلاف الناس لاثبت لهم ان من مصلحة الانجليز أنفسهم أن يستمعوا لقولى وأن يعضدونى فى المشروع وان القنال سيكون سبب ثروتهم وعنوان مجدهم وكفيل سلامة تجارتهم) . وبالفعل سافر دلسبس الى انجلترا وانبرى خطيباً فى كل ناد وفى كل بلد .حاملا كتبه وخرطه وخطبه مطبوعة بعشرات الالوف من النسخ يوزعها على الامراء والكبراء والعلماء . وعلى الشركات الماليـة والتجارية والصناعية . وعلى جميع الصحف المنتشرة فى أنحاء انجلترا واسكتلندا وايرلندا . وخطب ٣٢ خطبة فى بحر ٤٥ يوماً فى البلاد الثلاثة . وما هي الا فترة من الزمان حتى تحولت أفكار الانجليز من العداء الصرف الى تحبيذ فتح القنال والاشتراك فى نفقات حفر القنال، حتى ان جريدة التيمس التى كانت معادية المشروع كل العداء انقلبت محبذة له حاثة على معاضدة دلسبس ماليًا وأدبيًا. وانضمت الى التيمس أيضًا شركة الهند وشركة البواخر بنسولار الانجليزية والامير ألبير زوج الملكة فيكتوريا وشارل ديكنسن الكاتب الانجليزى المشهور وكثير غيرهم من أقطاب السياسة ومن رجال المال

سر من أسرار السياسة الانجليزية

فى الوقت الذى كانت فيه انجلترا تحارب مشروع القنال بكل قواها كانت تسعى لوضع يدها على القنال من طريق غير مباشرة . ذلك انها بدأت باحتلال بريم (جزيرة محصنة عندمدخل بوغاز باب المندب) بدون اخطار تركيا او مصر. ثم حصلت من الباب العالى — تارة بالوعد واخرى بالوعيد — على امتياز مد سكة حديد الفرات

لتضمن لها طريقاً الى الهند . ولما آنست من الدول شبه اجماع على تحبيذ مشروع حفر القنال سعت لدى دلسبس لتستميله اليها ، فعرضت عليه بواسطة أحد أعوانها ان يمكن انجلترا من الاستيلاء على السويس ليكون لها سلطان على مدخل القنال ووعدته فى مقابل ذلك بأن تعلن حالا موافقتها على فتح القنال. فرفض دلسبس بكل اباء أن يلوث اسمه بمثل هذا التواطؤ فزاد عداء لورد بالمرستون له وللقنال . وقد كانت هذه المفاتحة عقب وصول تلغراف من لورد اللنبورو Lord Ellenborough حاكم الهند الى حكومة انجلترا يؤكد لها فيه بانه « لضمان سيطرة انجلترا على العالم باسره يجب أن تثبت قدما لها فى الهندواخرى فى مصر . »

ومحاولة استئثار انجلترا وحدها بالقنال لهاسابقة فى ايام محمد على باشا . اذ انها كانت فاتحت الباب العالى فى ذلك والباب العالى استطلع رأى محمد على باشا. فارسل محمد على افادة سرية الى الصدر الاعظم يقول له فيها « ان فتح ممر لاوربا للوصول الى الهند عن طريق مصر وسوريا يجب أن يكون باشتراك جميع الامم ولمصلحتها جميعها ولا تستأثر به انجلترا وحدها .لان استئثارهابه وحدها فيه خطر كبير على حقوق السلطان »

"Que l'ouverture du passage de l'Europe aux Indes par l'Egypte et la Syrie devait être exécutée au profit et avec le concours de toutes les nations, et ne devait pas constituer un monopole au profit de l'Angleterre seule, monopole qui serait très dangereux pour les droits du Sultan".

نبوءة لامارتين

لامارتين هذا هو شاعر فرنسا المشهور . تولى رئاسة مجلس وزراء فرنسا فى عهد محمد على باشا . حدث ان اثيرت فى مجلس نواب فرنسا مسألة محاولة انجلترا الهيمنة على مصر وسوريا بشق طريق لها الى الهند واثارتها نزاعاً بين السلطان ومحمد على فى أثناء المفاوضات التى أعقبت واقعة « نصيبين » التى انتصرت فيها الجيوش المصرية على الجيوش التركية . فقام لامارتين وخطب خطبة رنانة فى ١١ يناير سنة ١٨٤٠ قال فيها «أن الطبيعة اقوى من ان تقاومها الحزازات الدولية. ستتصل اوروبا بالهند بواسطة

السويس رغم انوفكم . كل مايترتب على معارضتكم انما تأخير تحقيق نعمة الله الكبرى . ان العالم القديم والعالم الجديد سيتعانقان وسينهضان باتصالهما بالقطر المصرى »

"La nature est plus forte que ces misérables antipathies nationales; l'Europe et les Indes communiqueront en dépit de vous par Suez; vous n'aurez fait que retarder ce grand bienfait de la Providence; les deux mondes s'embrasseront et se vivifieront en se touchant par l'Egypte".

قنال السويس وقنال بناما

عند ما كان البرنس لويس نابليون مسجوناً فى قلعة هام بتهمة التآمر على قلب حكومة لويس فيليب ملك فرنسا عكف على درس مسألة شق قنال بناما بفصل أمريكا الشمالية عن أمريكا الجنوبية ، وتسهيل سبل الملاحة بين البحر الاطلانطيق والبحر الباسفيكى . وقد وضع مذكرة بمشروعه هذا وقدمها لحكومة نيكارجوا . وحكومة نيكارجوا قررت بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٤٦ تفويض البرنس لويس نابليون بتأسيس شركة فى أوربا تتولى هذا العمل على أن يسمى القنال الجديد «قنال نابليون» . فطلب البرنس لويس من الحكومة الفرنساوية أن تسمح له بالسفر الى أمريكا فرفضت . بعد ذلك شبت ثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا فقلبت نظام الحكومة فيها وانتخب البرنس لويس نابليون رئيساً للجمهورية ثم أمبراطوراً ، فاستوى على عرش فرنسا باسم نابليون الثالث ، وشغلته شواغل الملك عن شق قنال بناما . ومن ذلك العهد اتجهت الافكار الى شق قنال بناما وتألفت شركة أولى تحت رئاسة فرديناند دلسبس ، وبعد ان جمعت أموالا طائلة فشلت . ثم تولتها شركة أخرى كتب الله لها النجاح وفتح قنال بناما بالفعل فاتصل المحيط الهادى بالمحيط الاطلانطيق وتيسر لسفن الملاحة أن تنتقل من محيط الى محيط بعبور ٢٥٠ كيلو متراً فقط بعد ان كانت مضطرة الى الطواف حول أمريكا الجنوبية كلها للانتقال من محيط الى محيط

نصيب مصر فى قنال السويس

كان لمصر ١٧٦٫٦٠٢ سهم من ضمن الـ ٤٠٠٫٠٠٠ سهم التى تكوّن منهـا

ولهن مال الشركة . اشتراها سعيد باشا بمبلغ ٠٠٠ر٨٢٠ر٨٨ فرنك ذهب عبارة عن ٢٣١ر٤٢٦ر٣ جنيهاً مصرياً. وفى سنة ١٨٧٥ عرضها اسماعيل باشا للبيع لانه كان فى أشد حالات الضنك المالى . بدأ اسماعيل باشا بعرضها على فرنسا . فرنسا ترددت . علم بخبر الصفقة مراسل التيمس . فسافر فى الحال الى لوندره وقابل لورد بيكونسفيلد كبير وزراء انجلترا وكان جالساً يتعشى مع نفر من أصحابه . ألح مراسل التيمس فى مقابلته وقابله بالفعل و بسط له الامر وأقنعـه بوجوب شراء نصيب مصر فى الحال . فذهب لورد بيكونسفيلد الى روتشيلد وطلب اليه سلفة ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ جنيه باسم ولحساب الحكومة ولم يكن البرلمان قد أجاز الصفقة بعد . ولكن لورد بيكونسفيلد أخذ على عهدته باسمه و باسم الحكومة أن يحصل على اذن البرلمان. فتمت الصفقة فى اليوم التالى بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ جنيه. وهى الآن تساوى ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢ جنيه . فخسارة مصر من هذه العملية وحدها بلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٨ جنيه . فتأمل

ويرى مستر فارمان قنصل الولايات المتحدة فى مصر سابقاً ان هـذه الصفقة كانت الضربة القاضية على الخديوى واكبر غلطة مالية و سياسية ارتكبها فى حياته .

مالية ، لأن اسماعيل باع الاسهم بثمن بخس وتعهد علاوة على ذلك بدفع ٥٪ فوائد سنوية لهذا المبلغ لغاية أول يوليه سنة ١٨٩٤ . أو بعبارة أخرى كانت الحكومة الانجليزية دائنـة تسترد مبلغها بالتقسيط بعد ان استولت على أسهم بلغت قيمتها ٠٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤ جنيه فى سنة ١٨٩٦ ومبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠ جنيـه فى سنة ١٩١٥ (و ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢ جنيه فى سنة ١٩٢٩)

وسياسية ، لأن الحكومة الانجليزية أصبحت لها مصلحة مزدوجة ، مالية وسياسية فى القناة تمهد السبيل لتدخلها الفعلى فى مصر ، فى حين أن فرنسا كانت المصالح المالية ذريعتها الوحيدة للتدخل فى مصر و بذلك رجحت كفة السياسة الانجليزية

وقد صرح اسماعيـل باشا فى حديث له مع « بيتى كنجستون » سنة ١٨٧٦ (إننى ما كنت أعتقد قط أن انجلترا تطمح بشرائها أسهم قناة السويس وارسالهـا موظفاً كبيراً لفحص حساباتى الى وضع يدها على مصر)

اليس اسماعيل هو الذى قال عندما جلس على العرش (أريد أن يكون القنال لمصر لا مصر للقنال)

ومن هذا التاريخ أيضاً أصبح لانجلترا كلمة نافذة فى ادارة شؤون قنال السويس . ألا تذكر أنه بعد واقعة «التل الكبير» واستفحال النفوذ الانجليزى فى مصر طلبت انجلترا من شركة القنال تخفيض رسوم مرور البواخر وتسهيلات أخرى للسفن الانجليزية التى كانت تدفع معظم ايرادات القنال ولما لم تجـد أذناً صاغية هددت بحفر قنال آخر يكون انجليزياً صرفاً ولا يكون لفرنسا ولا لغير فرنسا سهم واحد فيه . وعندما وصل الى فرنسا نبأ عزم الحكومة المصرية على منح انجلترا امتياز حفر قنال جديد اضطرت الى الرضوخ ومنحت الانجليز امتيازات وتسهيلات كثيرة

هذا ما كان من أمر الـ ١٧٦٦٠٢ سهماً . الا أنه كان للحكومة المصرية حظ آخر فى القنال . ذلك أنه كان مشروطاً لها ١٥٪ من صافى الارباح. فعندما ارتبكت أحوال مصر المالية فى سنة ١٨٧٩ (وهى السنة التى خلع فيها الخديو اسماعيل باشا) اضطرت الحكومة الى بيع هذا النصيب أيضاً فاشتراه البنك العقارى الفرنساوى فى سنة ١٨٧٩ بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٢ فرنك ذهب – عبارة عن ٠٠٠ر٨٥٥ جنيه

أتدرى الآن كم يساوى ثمن السهم الواحد من الـ ٦٠٢ر١٧٦ سهم التى باعها اسماعيل باشا فى سنة ١٧٧٥ وكم بلغت قيمة الـ ١٥٪ التى باعتها الحكومة المصرية فى سنة ١٨٧٩ وكم بلغت أرباح الاسهم التى باعها اسماعيل باشا الى انجلترا وكم بلغت أرباح الحصة التى باعتها الحكومة المصرية الى البنك العقارى الفرنساوى ؟

اسمع واحكم

ان الـ ١٧٦٦٠٢ سهم تساوى الآن ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢ جنيه[1] وقد باعها اسماعيل

(١) قدرت الديلى اكسبريس ثمن هـذه الاسهم بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢ جنيه — واليك ما ورد فى تلغرافات المقطم الخصوصية (ان الحكومة البريطانية اشترت سبعة اجزاء من ستة عشر جزءاً من اسهم شركة القنال. وكانت قيمتها عند شرائها اربعة ملايين جنيه. اما اليوم اى بعد ٦٠ سنة — فان قيمتها تبلغ ٧٢ مليون جنيه)

باشا بمبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ جنيه فقط . ونصيب مصر فى الارباح ١٥ ٪ لا يقل ثمنه الآن عن ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ جنيه لان مقابل الـ ١٥ ٪ يبلغ سنويًا ٠٠٠ر٨٦٩ جنيه . فها ٨٧ مليون جنيه طارت من يد مصر بسوء التصرف. اذا أضفت اليها أرباح الـ ١٧٦٦٠٢ سهم من سنة ١٨٧٥ حتى الآن وأرباح الـ ١٥ ٪ من سنة ١٨٧٩ حتى الآن تصل الى رقم يأخذ بلبك

حسبت ما ضاع على مصر بسبب بيع الـ ١٧٦٦٠٢ سهم فوجدته قد بلغ من سنة ١٨٧٥ حتى اليوم ٨٠٠ر٨٤٠ر١١٠ جنيه . وما ضاع على مصر بسبب بيع نصيبها ١٥ ٪ فوجدته قد بلغ من سنة ١٨٨٠ حتى اليوم مبلغ ٠٠٠ر٧٠٠ر٢٦ جنيه فيكون مجموع ماخسرته مصر فى هاتين الصفقتين من أصل وأرباح ٨٠٠ر٥٤٠ر١٣٧ جنيه.

ضف الى هذه الخسارة الهائلة مبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٧ من الجنيهات نصيب مصر فى حفر القنال ثم ضم الى هذا وذاك قيمة التعويضات التى حكم بها نابليون الثالث على الحكومة المصرية للشركة وقدرها ٠٠٠ر٣٦٠ر٣ ثم نفقات حفلات مهرجان افتتاح القنال ٠٠٠ر٤٠٠ر١ جنيه . وسائر النفقات التى استلزمها القنال وحفلاته وثمن أراضى استولت عليها شركة القنال وقيمتها كلها ٠٠٠ر٢٤٠ر٥ جنيه يكون مجموع خسارة مصر من هذه الاقلام وحدها ٨٠٠ر٥٤٠ر١٥٤ جنيه

راجعت جدول ايرادات شركة القنال فى الثلاثين سنة الماضية من رسوم مرور البواخر فوجدتها قد بلغت ٢٧٦ر٤٧١ر٩٠١ر٣ فرنك ذهب عبارة عن ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦٠ جنيه انجليزى . هذه أرباح الشركة من مرور السفن فقط فى ثلاثين سنة. واذا عرفت أن لشركة قنال السويس امتياز توريد المياه للسويس والاسماعيلية وبورسعيد وبورتوفيق وبور فؤاد كما لها أيضًا حصة فى بيع الاراضى الواقعة فى منطقة القنال تجد أن أرباحات الشركة هائلة جداً. بلغت فى سنة ١٩٢٨ وحدها ٨٨ر١١٢ر١٧٦ر١ فرنك عبارة عن ٠٠٠ر٣٣٦ر٩ جنيه انكليزى تقريبًا وايراداتها مطردة الزيادة لدرجة فاحشة حتى أن زيادة ايرادات سنة ١٩٢٧ بلغت وحدها ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٥ فرنك

ومن المدهش أن حصة التأسيس قسمت الف جزء و بلغ الآن ثمن الجزء الواحد من

الالف جزء ٦٠٠ر١٩ فرنك فيكون ثمن الحصة الواحدة ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠ فرنك تقريباً بعد ان كان لا يزيد فى البداية على ٥٠٠ فرنك . فتأمل

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ينتهى امتياز شركة القنال ويعود القنال برمته ملكاً لمصر . مد الله فى آجالنا حتى نرى هذا اليوم السعيد

وقد حسب دلسبس نفسه أرباح فرنسا من فتح قنال السويس فوجدها قد بلغت ٠٠٠ر٠٠٠ر٥٠ جنيه فى الـ ١٦ سنة الاولى . فان كان هـذا ما ربحته فرنسا وحدها فى الـ ١٦ سنة الاولى التى كانت التجارة فيها غير رائجـة رواجها الحالى فكم تكون أرباحات فرنسا وأرباحات انجلترا من يوم افتتاح القنال حتى الآن . هـذا ما يعجز عن حصره أمهر الحاسبين .

الآن وقد عرفت أن ايرادات قنال السويس تبلغ حوالى ٠٠٠ر٣٣٦ر٩ جنيـه فى السنة (فاذا احتسبنا رأس المال على قاعدة أن أرباحه تبلغ ٥٪ فى السنة تكون قيمة رأس مال الشركة برمتها ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ جنيه) اذا خصمنا المصروفات ٠٠٠ر٥٤٤ر٣ كان صافى الايراد ٠٠٠ر٧٩٢ر٥ بواقع ٤ المئة يكون الراسمال ٠٠٠ر٠٠٠ر١٥٠ جنيه [١] ولم يبق من أجل امتياز قنال السويس سوى ٣٩ سنة — و ٣٩ سنة فى حياة الامم ليست شيئاً مذكوراً . مضى الكثير ولم يبق الا القليل . فهل يصح أن تتهاون مصر فى حقوقها بعد أن فرطت فيها يد الاسراف . واذا اكرهت انجلترا وفرنسا ودول اوربا الحكومة المصرية على مد أجل الامتياز فكم يعوضونها يا ترى عن ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ جنيه قيمة القنال بحصصه وأسهمه وأدواته ومهماته ومبانيه وامتيازاته وحقوقه . هذا امر سيكشف لنا التاريخ سره

القنال وقتلى الحرب

فى ٣ فبراير سنة ١٩١٥ أغار جيش تركى مؤلف من ٠٠٠ر٤٠ مقاتل تحت قيادة

---

(١) — وهـذا يؤيد تقدير الديلى اكسبريس بأن اسهم مصر بلغت قيمتهـا الآن ٠٠٠ر٠٠٠ر٧٢ جنيه بعد ان كانت ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ جنيه فقط

جمال باشا على ارض مصر. الجناح الايمن تحت أمرة ممتاز بك عهد اليـه الهجوم على القنطرة . والجناح الايسر تحت أمرة أشرف بك نيط به غزو السويس. وباقي الجيش تحت قيادة جمال باشا نفسه قصـد القنال بين طوسون وسرابيوم وحاول اجتيازه فى منتصف الساعة الرابعـة صباحاً. ولكن الانجليز والفرنساويين بمساعدة البطارية الخامسة المصرية والفرقة الهندية تلقت الجيش التركى بوابل من الرصاص فتك بالهاجمين فتكا ذريعاً فاضطر جمال باشا الى الانسحاب بسرعة بعد ان ترك ١٨٠٠ قتيـل و ٢٠٠٠ أسير. أما خسارة الجنود البريطانية فلم تزد على ١١٥ . ولما انتهت الحرب أقامت شركة قنال السويس على احدى ضفاف بحيرة التمساح نصباً تذكارياً ارتفاعه أربعون متراً تخليداً لذكرى الذين دافعوا عن القنال وصدوا الجيش التركى

الشركة والقنال

لو بقى القنال على ما كان عليه فى بداية حفره ما كانت الفائدة المرجوة منـه تتناسب مع التكاليف الهائلة التىاستلزمها حفره. الا أن الشركة مافتئت منذ تأسيسها لا تدخر مالا ولا جهداً فى ادخال تحسينات واصلاحات عظيمة جداً فى القنال . فمن ذلك أن عرض القنال كان فى الاصل ٢٢ متراً فوسعته الشركة حتى بلغ ٣٥ متراً فى سنة ١٨٩٢ و٤٥ متراً فى سنة ١٩١٢ ولا تزال الاعمال جارية فيه الآن ليبلغ عرضه ٦٠ متراً (أى ثلاثة أضعاف ما كان عليه فى بداية انشائه) . هذا بالنسبة الى توسيع عرض القنال . وكذلك أبدت الشركة همة عظيمة فى تعميقه فبعد ان كانت لا تمر فى القنال الا البواخر التى حمولتهـا ٤٥٠٠ طن زادت الحمولة الى ١٨٠٠٠ طن بل رأينا بواخر تزيد حمولتها على ٢٠٠٠٠ طن تمر من القنال

يضاف الى هذا أنه بعـد ان كانت الباخرة فى سنة ١٨٧٠ تقطع المسافة بين بور سعيـد والسويس فى ٤٨ ساعة أصبح من الميسور على البواخر أن تقطعهـا فى ١٦ ساعة واذا خصمنا منها الزمن الذى تضطر فيه الى الوقوف أحياناً فى أثناء مرورها هبطت المدة الى ١٢ ساعة و٣٣ دقيقة

كذلك بعد ان كانت الملاحة قاصرة على ساعات النهار أصبحت الملاحة ميسورة ليلا ونهاراً

القنال وحركة المرور

والذى يحزننى أن لا أرى للبواخر المصرية نصيب فى حركة الملاحة فى القنال . إذ أن عدد البواخر التى اجتازت القنال بلغت فى سنة ١٩٢٨ وحدها ٦٠٨٤ باخرة كان عدد البواخر المصرية منهـا ٨ فقط والتركية ٢ أما البواخر الانجليزية فكان عددها ٣٣٩٣ تليهـا البواخر الهولندية وعددها ٦١٨ ثم الالمانية ٦١١ ثم الفرنساوية ٣٥٩ ثم الايطالية ٣٦٣ ثم اليابانية ١٥٨ ثم الاميركية ١٢٣ ثم النرويجية ١٣٩ — وبعد ذلك تأتى البلاد الصغرى بأقل من المائة

أما عدد السياح الذين اجتازوا قنال السويس فهائل جداً . بلغ عددهم فى سنة ١٩٢٨ – ٣١٧٧١٨ وهم فى الثلاثين سنة الماضية ٨ر١٨٠ر٩١٣ نفساً

واليك جداول ثلاثة تبين لك حركة المرور فى القنال وعدد البواخر وعدد الركاب فى مدى الثلاثين سنة الاخيرة التى تبتدىء من سنة ١٨٩٩ لغاية ١٩٢٨

حركة البواخر

السنة	مرات المرور	الحمولة بالطن	ايراد رسم المرور بالفرنك
١٨٩٩	٣ ٦٠٧	٩ ٨٩٥ ٦٣٠	٨٨ ٦٩٨ ٥٥٥
١٩٠٠	٣ ٤٤١	٩ ٧٣٨ ١٥٢	٨٧ ٢٧٨ ٤٨١
١٩٠١	٣ ٦٩٩	١٠ ٨٢٣ ٨٤٠	٩٧ ٠٣٤ ٩٤٤
١٩٠٢	٣ ٧٠٨	١١ ٢٤٨ ٤١٣	١٠١ ٠٢٥ ١٥٨
١٩٠٣	٣ ٧٦١	١١ ٩٠٧ ٢٨٨	١٠٠ ٩٤٢ ٤٢٠
١٩٠٤	٤ ٢٣٧	١٣ ٤٠١ ٨٣٥	١١٣ ١٧٦ ٩٤٧

السنة	مرات المرور	الحمولة بالطن	ايراد رسم المرور بالفرنك
١٩٠٥	٤ ١١٦	١٣ ١٣٤ ١٠٥	١١٠ ٦٢٤ ٨٩٣
١٩٠٦	٣ ٩٧٥	١٣ ٤٤٥ ٥٠٤	١٠٣ ٦٩٧ ٨٠٢
١٩٠٧	٤ ٢٦٧	١٤ ٧٢٨ ٤٣٤	١١٢ ٨٠٣ ٣٠٦
١٩٠٨	٣ ٧٩٥	١٣ ٦٣٣ ٢٨٣	١٠٥ ٣٩٦ ٢٠٥
١٩٠٩	٤ ٢٣٩	١٥ ٤٠٧ ٥٢٧	١١٧ ٧٥٤ ٨٨٨
١٩١٠	٤ ٥٣٣	١٦ ٥٨١ ٨٩٨	١٢٧ ٢٠٣ ٢٨٥
١٩١١	٤ ٩٦٩	١٨ ٣٢٤ ٧٩٤	١٣١ ٠٣٥ ٢٣٢
١٩١٢	٥ ٣٧٣	٢٠ ٢٧٥ ١٢٠	١٣٢ ٩٢٩ ٣٤١
١٩١٣	٥ ٠٨٥	٢٠ ٠٣٣ ٨٨٤	١٢٢ ٩٨٩ ٣٦٧
١٩١٤	٤ ٨٠٢	١٩ ٤٠٩ ٤٩٥	١١٧ ٣٠٦ ٦١٢
١٩١٥	٣ ٧٠٨	١٥ ٢٦٦ ١٥٥	٩٠ ٢٨١ ٤٤١
١٩١٦	٣ ١١٠	١٢ ٣٢٥ ٣٤٧	٧٦ ١١٩ ٨٥١
١٩١٧	٢ ٣٥٣	٨ ٣٦٨ ٩١٨	٦١ ٠٧٦ ٤١٨
١٩١٨	٢ ٥٢٢	٩ ٢٥١ ٦٠١	٧٩ ٣٣٩ ٥٤٢
١٩١٩	٣ ٩٨٦	١٦ ٠١٣ ٨٠٢	١٣٦ ٩٦٩ ٩١٥
١٩٢٠	٤ ٠٠٩	١٧ ٥٧٤ ٦٥٧	١٤٤ ٥٩٣ ٨٥٣
١٩٢١	٣ ٩٧٥	١٨ ١١٨ ٩٩٩	١٤٤ ٤٩٢ ٨٠٢
١٩٢٢	٤ ٣٤٥	٢٠ ٧٤٣ ٢٤٥	١٦٢ ٦١٣ ٨٥٠
١٩٢٣	٤ ٦٢١	٢٢ ٧٣٠ ١٦٢	١٧١ ٩٦١ ٦١٣
١٩٢٤	٥ ١٢٢	٢٥ ١٠٩ ٨٨٢	١٨٢ ٥٧١ ٥٨٢
١٩٢٥	٥ ٣٣٧	٢٦ ٧٦١ ٩٣٥	١٨٩ ٤٢٨ ١٥١
١٩٢٦	٤ ٩٨٠	٢٦ ٠٦٠ ٣٧٧	١٨٣ ٨٦٦ ٩٦٩
١٩٢٧	٥ ٥٤٥	٢٨ ٩٦٢ ٠٤٨	٢٠٣ ٩٦٦ ٠٩٨ ذهباً
١٩٢٨	٦ ٠٨٤	٣١ ٩٠٥ ٩٠٢	١ ٠٥٧ ٥٢١ ٧٧٩ ورقا

بواخر التى اجتازت قنال السويس مع بيان صافى حمولتها

	مرات المرور	الحمولة بالطن
. . . . . .	٣٣٩٣	١٨ ١٢٤ ٠٧٤
. . . . . .	٦١٧	٣ ٣٢٩ ٦٢٧
. . . . . .	٦١١	٣ ٣٠٠ ٠١٨
. . . . . .	٣٥٩	١ ٩٢٦ ٩٦٩
. . . . . .	٣٦٣	١ ٦٤٩ ٧٩٢
. . . . . .	١٥٨	٩٤٠ ٠٧٠
. . . . . .	١٢٣	٧٢٩ ٣٥٣
. . . . . .	١٤٩	٦٨٦ ٧٤٩
. . . . . .	٧١	٣٥٣ ٩٢٨
. . . . . .	٦٦	٣٠٧ ٣١٦
. . . . . .	٩٠	٢٨٠ ٠٣٣
. . . . . .	٤٠	١٦٠ ٠٥٥
. . . . . .	٢٠	٦٧ ٨٢١
. . . . . .	٦	١٧ ٨٠١
. . . . . .	٨	١٣ ٥٨٦
. . . . . .	٢	٧ ٧٦٩
. . . . . .	٢	٣ ٢٢٦
. . . . . .	٢	٢ ٦٥٨
. . . . . .	٢	٢ ٥٩٤
كية	١	١ ٣٤٣
. . . . . .	١	١ ١١٩
	٦٠٨٤	٣١ ٩٠٥ ٩٠٢

عدد الذين اجتازوا قنال السويس فى مدى الثلاثين سنة الماضية

من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩٢٨

	عدد الركاب	الايراد
١٨٩٩	٢٢١ ٣٣٢	٢ ٢١٣ ٣٢٠
١٩٠٠	٢٨٢ ٥١١	٢ ٨٢٥ ١٠٧
١٩٠١	٢٧٠ ٢٢١	٢ ٧٠٢ ٢٠٥
١٩٠٢	٢٢٣ ٥١٣	٢ ٢٣٥ ١٢٥
١٩٠٣	١٩٦ ٠٢٤	١ ٩٦٠ ٢٤٣
١٩٠٤	٢١٠ ٩٨٠	٢ ١٠٩ ٨٠٥
١٩٠٥	٢٥٢ ٦٩١	٢ ٥٢٦ ٩١٥
١٩٠٦	٣٥٣ ٨٨١	٣ ٥٣٨ ٨٠٧
١٩٠٧	٢٤٣ ٨٢٦	٢ ٤٣٨ ٢٦٥
١٩٠٨	٢١٨ ٩٦٧	٢ ٢٨٩ ٦٧٥
١٩٠٩	٢١٣ ١٢٢	١ ١٣١ ٢٢٠
١٩١٠	٢٣٤ ٣٢٠	٢ ٣٤٣ ٢٠٢
١٩١١	٢٧٥ ٢٥٩	٢ ٧٥٢ ٥٩٥
١٩١٢	٢٦٦ ٤٠٣	٢ ٤٩٩ ٠٢٠
١٩١٣	٢٨٢ ٢٣٥	٢ ٦٥٣ ٣٤٠
١٩١٤	٣٩١ ٧٧٢	٣ ٧٣٤ ٥٠٥
١٩١٥	٢١٠ ٥٣٠	٢ ٠٠٤ ٩٩٠
١٩١٦	٢٨٣ ٠٣٠	٢ ٨٠٢ ٢١٠
١٩١٧	١٤٢ ٣١٣	١ ٤١٥ ٤٥٠
١٩١٨	١٠٥ ٩١٤	١ ٠٥٠ ٢٦٥
١٩١٩	٥٢٧ ٥٠٢	٥ ١٦٤ ٤٨٧

السنة	عدد الركاب	الايراد
١٩٢٠	٥٠٠ ١٤٧	٤ ٧٥٠ ٢٤٢
١٩٢١	٢٩٥ ١٩٩	٢ ٧٢٧ ٧٧٨
١٩٢٢	٢٧٥ ٠٣١	٢ ٥٤٨ ٥٩٢
١٩٢٣	٢٤٦ ٣٣١	٢ ٢٧٧ ٨٥٣
١٩٢٤	٢٦٣ ٨٦٩	٢ ٤٥٠ ٣١٢
١٩٢٥	٢٦٩ ٥٢٢	٢ ٤٩١ ٧٨٥
١٩٢٦	٢٨٦ ٤٣٢	٢ ٦٣٩ ٢٣٠
١٩٢٧	٣٤٠ ٣١٨	٣ ١٧٠ ٩١٠ فرنك ذهب
١٩٢٨	٣١٧ ٧١٨	١٤ ٢٤٩ ٢٩٦ فرنك ورق

أقوال دلسبس

كان دلسبس يعتقد أن النساء قوام نظام كل هيئة اجتماعيـة و بغيرهن لا يمكن أن تقوم لـكل مجتمع انسانى قائمـة . ومن أقواله المأثورة (ان المرأة هى الركن الاول لرقي كل هيئة اجتماعية)

حدث أنه كان يتنزه ذات يوم مع محافظ السويس (وكان قد تربى فى تركيا) فشكا اليه المحافظ تأخر الترك (حتى من تربى منهم فى باريس ولندن وبرلين) عن الاوربيين

وفى أثناء الحديث مرت بنت قنصل انجلترا ممتطية صهوة جواد مطهم . فالتفت دلسبس الى محافظ السويس وقال مبتسما (لا تتم لبلادكم الحضارة ولا تكونوا شعباً متمدناً الا من اليوم الذى تمتطى فيه نساؤكم وبناتكم الجياد و يسرن معكم جنباً لجنب. فى الشرق اعتدتم أن تمشوا على ساق واحدة فقط . وهذا هو سر تأخركم عن أمم الغرب)

وكان دلسبس شجاعاً لدرجة التضحية بأنفس ما عنـد الانسان : الحياة ، فقد حدث ان الطاعون فشا فى ثغر الاسكندرية فى حى اليهود فضربت الحكومة نطاقاً شديداً عليهم ومنعتهم من الخروج كما حرمت دخول اى شخص كان عنـدهم . بلغ دلسبس ما يعانيـه المطعونون من آلام تفشى الطاعون فيهم وفى نسائهم وبناتهم وأولادهم لدرجة شنيعة جداً فاستدعى اليـه طبيبين وطلب اليهما أن يرافقاه الى حى اليهود وذهب بالفعـل معهما وأراد الدخول فاعترض له ضابط من ضباط البوليس قائلا (ممنوع الدخول) فأجابه دلسبس على الفور (ولكن بعَلَم فرنسا أدخل حيث أريد) فقال له الضابط (اذا دخلت فلا تخرج) فأجابه (أنا لا أطلب الا الدخول) ودخل بالفعل فشهد منظراً من أبشع المناظر، شهد الموتى والمرضى بالمئات وفى حالة من أفظع الحالات ، تنبعث منهم الروائح الكريهة والميكروبات القتالة. فأمر بدفن الموتى ومعالجة المرضى وعزل السليم عن المريض. وبقى يعمل فى الحى حتى نجا بمسعاه سبعون فى المئة من اليهود . بلغ عمله هذا حكومه فرنسا فأنعمت عليه بنيشان لوجيون دونير . وقد مات الطبيبان اللذان كانا معه

وكان دلسبس رجلا باراً بزوجه وأولاده لدرجة يندر أن توجد فى الرجال . تزوج مرتين. رزق من زوجته الاولى بستة أولاد ومن الثانية بأحد عشر ولداً. وقد سمى واحداً من أولاده باسم اسماعيل تيمناً باسم الخديوى اسماعيل الذى كان له فضل كبير فى اتمام مشروع قنال السويس

وكان دلسبس رجلا قنوعاً لم يحتفظ لنفسه من المئة حصة من حصص التأسيس الا بحصتين فقط . ورفض طلب ابنه الكبير شارل أن يخصه بحصة أو بنصف حصـة لينفى عن نفسه مظنة حب الاستئثار بمنافع المشروع مع أنه كان فى وسعه أن يحوز لنفسه ولعائلته عشر حصص اذا أراد

يؤيد هذا ما كتبه الى مدام دلامال بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٨٥٥ :

"Ainsi, vous le voyez, je ne puis guère être tenté, avec un pareil appui, de livrer mon affaire aux vautours et aux loups cerviers de la finance. Ce n'est pas pour grossir leur caisse que je travaille. Je veux fair une grande chose, sans arrière-pensée, sans intérêt personnel d'argent.

C'est ce qui fait que Dieu m'a permis jusqu'à présent de voir clair et d'éviter les écueils; je serai inébranlable dans cette voie, et, comme personne n'est capable de me faire dévier, j'ai la confiance que je conduirai sûrement ma barque jusqu'au port, que nous pourrons appeler Said, du nom du vice-roi, voulant dire en arabe heureux."

دلسبس ومعاصروه

ها رأى دلسبس فى بعض معاصريه :

رأيه فى حليم باشا

" Ce jeune Prince parle notre langue avec facilité et élégance. Cavalier et chasseur. . . . Il a la vivacité et les allures d'un français du Midi, avec un accent parisien très pur."

رأيه فى مصطفى باشا (ابن ابراهيم باشا)

" Ce Prince est très intelligent et très instruit; il s'exprime en français comme un parisien."

رأيه فى أحمد باشا (ابن ابراهيم باشا)

" C'est un homme instruit qui a suivi avec succès les cours de notre Ecole Polytechnique. Il est très entendu, come l'était son père, dans l'administration de ses immenses propriétés et raisonne parfaitment en français sur toutes choses."

رأيه فى اسماعيل باشا

"Ismail Pacha m'est très sympathique et j'ai été enchanté de son accueil. Il a une figure fine et distinguée, et, il a réellement le sang de Méhémet-Aly. Lorsqu'il ne s'occupera plus autant de ses plaisirs, je crois qu'il se fera connaître utilement. Quoiqu'il n'ait que vingt-cinq ans, il est déjà père d'une douzaine d'enfants. Il a eu, dans sa part de succession, le plus beau palais du Caire, sur le bord du Nil; il y a dépensé pour plus d'un million de francs, en ameublements venus de France."

رأيه فى عباس باشا (والى مصر)

" Prince fanatique et ennemi du progrès, que la Providence a fait disparaître au moment où il allait consommer la désorganisation et la ruine de l'Egypte."

رأيه فى رشيد باشا الصدر الاعظم

" Le grand-vizir Réchid-Pacha a été renversé. Quel que soit le motif apparent donné à sa chute, il n'est tombé que par la découverte de ses intrigues contre la France dans la question du canal. Voilà, pour commencer notre navigation, un homme d'Etat à la mer; il y en aura peut-être encore d'autres dans la suite."

رأيه فى سعيد باشا وفى حرمه المصون فى رسالة أرسلها الى مدام ستيفان بك عقيلة ناظر الخارجية :

" Rien ne pouvait me flatter davantage que de recevoir cette marque de haute estime, de la part d'une princesse connue, non seulement en Egypte, mais encore en Europe, par la distinction de son esprit et de son caractère, et par ses actes de bonté et de charité.

" Ce qui m'a surtout touché, c'est que mes sentiments de dévouement absolu envers le prince qui, depuis son enfance, m'a honoré de son amitié, sont appréciés par la personne qui pouvait le mieux les deviner, car les femmes supérieures ont un instinct, pour ainsi dire, surnaturel pour reconnaître, même sans les avoir vus, les amis ou les ennemis de ceux qu'elles aiment. Leurs voeux les trompent rarement, et il n'y a pas d'homme qui, ayant auprès de lui une conseillère fidèle et désintéressée, n'ait pas eu à regretter quelquefois de n'avoir pas voulu suivre des avis ou respecter des pressentiments que sa vanité l'empêchait d'écouter.

" S.A. le vice-roi a daigné m'entretenir particulièrement, pendant notre voyage au Soudan, de la haute opinion qu'il avait du jugement droit et juste de son auguste épouse. J'ai donc un motif de plus de me réjouir de la confiance qu'elle veut bien avoir dans la sincérité de mon attachement pour un prince, assuré de trouver en moi, dans toute circonstance, la respectueuse et franche affection que lui ont acquise son excellent coeur et sa conduite, j'oserai dire fraternelle, envers moi."

ما قاله فى مسلّة هليو بوليس

"Nous avons dépassé Abou-Zabel; nous apercevons l'Obélisque d'Héliopolis, la ville du Soleil, où Platon a étudié pendant 17 ans les archives des prêtres égyptiens. C'est à tort que l'on a placé dans cette ville la résidence de Joseph, le fils de Jacob. La dynastie des pasteurs, sous laquelle Joseph est venu en Egypte, régnait à San, près du lac Mensaleh, où le premier Ministre du Pharaon, le Seigneur Putiphar, cumulait ses fonctions avec celles d'eunuque, comme nous le dit l'Ecriture, circonstance rendant fort excusables les prévenances de madame Putiphar et rendant plus méritoire la réserve du fils de Jacob."

طلب مد امتياز الشركة

فى سنة ١٩١٠ طلبت شركة القنال من الحكومة المصرية مد امتيازها أربعين سنة أخرى بعد سنة ١٩٦٨ والحكومة أحالت الطلب الى الجمعية العمومية وصرحت بأن يكون رأى الجمعية فى هذه المسألة قطعياً . فانعقدت الجمعية العمومية فى يوم الاربعاء ٩ فبراير ١٩١٠ تحت رئاسة حضرة صاحب الدولة الامير حسين كامل باشا وافتتح سمو الخديوى عباس حلمى الجلسة بالنطق السامى الآتى :-

« أيها السادة

« نهديكم تحياتنا ونبدى لكم سرورنا من اجتماعكم فى هذا اليوم

« دعوناكم لأخذ رأيكم فى اتفاق يراد عقده مع شركة قنال السويس. فان هذه الشركة قد عرضت على حكومتنا منذ سنة امتداد أجل امتيازها . وبعد المخابرات الطويلة أمكن الوصول الى المشروع المطروح أمامكم

« وقد علمتم أن حكومتنا مجمعة الرأى على قبوله اذا رضيت الشركة بالتعديلات التى سبق تبليغها لحضراتكم

« فالغرض اذاً من اجتماعكم انما هو للبحث فيما اذا كان من مصلحتنا مد أجل الامتياز الى أربعين سنة على شرط اقتسام الارباح فى هذه المدة بين الحكومة والشركة مناصفة

« وفى مقابل اعطاء الشركة نصف الارباح عن المدة الجديدة تدفع للخزينة المصرية مبالغ موزعة على الستين سنة الباقية تقريباً من مدة الامتياز الحالى

« وقد قدر هذه القيمة بعد البحث الدقيق أشخاص من ذوى الخبرة الواسعة فى الشئون المالية وهم يرون أنه اذا حصلت الموافقة على التعديلات المذكورة تكون الفائدة التى تنالها مصر موجبة لتمام الرضا

« ولا يخفاكم أن هـذه المسألة ليست من المسائل التى يقضى القانون النظامى بأخذ رأى الجمعية العمومية فيها ولكن نظراً لاهميتها الاستثنائية بالنسبة الى الجيل الحاضر والاجيال الآتية قرر مجلس النظار أن لا يبت فيها رأياً قبل أن يعلم ان كانت الجمعية العمومية توافق على امتداد الامتياز

« ونظار حكومتنا مستعدون لاعطائكم كل ما ترونه لازماً فى هـذه المسألة من البيانات والايضاحات

« ونحن واثقون ان كل واحد منكم يشعر بالمسئولية التى يتحملها أمام بلاده عند نظره هذا المشروع المهم

« والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير البلاد »

وها نص مذكرة مجلس النظار الى الجمعية العمومية عن مشروع الاتفاق :

« طلبت شركة قنال السويس من الحكومة امتداد امتيازها

« وبعـد المخابرات الطويلة انتهى الامر بتحضير مشروع الاتفاق المرافق لهذه المذكرة وقد عرض هذا الموضوع على مجلس النظار فى جلسته المنعقدة فى يوم الخميس ٢٣ يناير الجارى تحت رئاســة الحضرة الفخيمة الخديوية فقرر باجماع الآراء وجوب رفضــه مادام بشكله الحالى ولكنه يرى إمكان قبوله اذا أدخلت عليه التعديلات الآتية وهى :

أولا — الغاء ضمانة الخمسين مليون فرنك الممنوحة للشركة بمقتضى المادة الثانيــة عن كل سنة من سنى الامتداد وبعبارة أخرى جعل قسمة الارباح من سنة ١٩٦٩ الى سنة ٢٠٠٨ بالمناصفة الكاملة بدون خصم شىء ما تمتاز به الشركة

ثانيًا – حفظ الحق للحكومة فى نصف الارباح لا يكون من أول ينايرسنة١٩٦٩ بل يبتدىء من ١٧ نوفمبر سنة ١٦٩٨ الذى هو تاريخ الامتداد

ثالثًا – حذف المادة الثامنة التى تلزم الحكومة بأن تدفع من أول سنة ٢٠٠٩ الذىهو تاريخ نهاية الامتياز معاشات مستخدمى الشركة ومرتبات تقاعدهم واعاناتهم

و بما أن السبب الوحيد الذى حمل الشركة على قبول دفع التسعين الف جنيه للحكومة حسب نص المادة التاسعة من مشروع الاتفاق هو تكفل الحكومة بصرف معاشات التقاعد فمجلس النظار يميل الى التجاوز عن مبلغ التسعين الف جنيه المذكورة ما دامت الحكومة لم تعد مكلفة بهذه النفقات

ومجلس النظار يميل أيضًا بهذه المناسبة الى تسوية المسألة المختصة بطلب الشركة امتلاك الاراضى التى ستتخلف من البحر فى بور سعيد بسبب الاعمال التى ستجريها على نفقتها وهو لا يوافق على استئثار الشركه بها بل يقبل الاتفاق على تسليم هذه الاراضى الى مصلحة الاملاك المشتركه

فى ٢٨ يناير سنة ١٩١٠ (الامضا) رئيس مجلس النظار

وها مشروع الاتفاق

المادة الاولى

امتياز شركة قنال السويس (الذى كان ميعاد انتهائه فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ اذا لم تتفق الحكومة المصرية والشركة على اطالة مدته) قد صار امتداده الى ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٨

المادة الثانية

تكون قسمة صافى الايراد أو الارباح السنوية باعتبار خمسين فى المائة للحكومة المصرية وخمسين فى المائة للشركة فى المدة التى تبتدىء من أول يناير سنة ١٩٦٩ وتنتهى فى ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٨ وذلك بمراعاة الشروط الآتية :

أولا — اذا نقص صافى الايراد أو الارباح السنوية فى سنة من السنين عن مائة مليون فرنك فتمتاز الشركة بأخذ خمسين مليون فرنك وتأخذ الحكومة المصرية ما يتبقى بعد هذا المبلغ

ثانيًا — اذا حدث فى احدى السنين ان كان صافى الايراد أو الارباح السنوية معادلا لخمسين مليون فرنك أو ناقصًا عن هذا المبلغ فيكون كامل هذا الايراد الصافى أو الارباح حقًا للشركة ومقاسمة الحكومة للشركة فى الارباح تقضى على الحكومة بأن تتجاوز من أول ينايرسنة ١٨٦٩ عن الخمسة عشر فى المائة المقررة لها بمقتضى المادة ٦٣ من نظامنامة الشركة .

المادة الثالثة

فى مقابل امتداد أجل الامتياز تتعهد الشركة بأن تدفع الى الحكومة المصرية فى القاهرة مبلغ اربعة ملايين جنيه مصرى (١٠٣٫٦٩٤٫٠٠٠ فرنكاً) على أربعة أقساط متساوية القيمة — فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٠و١٥ ديسمبر سنة ١٩١١ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٢ و ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣

المادة الرابعة

وزيادة على ذلك تتعهد الشركة بأن تدفع من أول سنة ١٩٢١ للحكومة المصرية حصة من صافى الايراد أو الأرباح على النسبة الآتية : —

٤ فى المائة من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٣٠
٦ فى المائة من سنة ١٩٣١ الى سنة ١٩٤٠
٨ فى المائة من سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٥٠
١٠ فى المائة من سنة ١٩٥١ الى سنة ١٩٦٠
١٢ فى المائة من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٨

ويكون تقدير حصة الحكومة فى الارباح حسب القواعد المتبعة فى تقدير ربح المساهمين بدون أى تمييزو يكون دفعها اليها فى ذات المواعيد المحددة لدفع ربح المساهمين

أما الشركة المدنية المنتفعة لغاية ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٨ بالخمسة عشر فى المائة التى كانت من حقوق الحكومة بمقتضى المادة الثامنة عشرة من عقد الامتياز المؤرخ فى ٥ يناير سنة ١٨٥٦ فلا تكون ملزمة بشيء مما تتحمله شركة القنال من المنصوص عليه فى المادة الثالثة الآنفة الذكر وفى هذه المادة

المادة الخامسة

عند تسوية حساب السنين التالية لسنة ١٩٦٨ لأجل تقدير حصة الحكومة فى الارباح على مقتضى المادة الثانية من هذا الاتفاق لا يدخل فى هذا الحساب الا فائدة أو استهلاك القروض التى تعقد بعد سنة ١٩١٠ لاستعمالها فى أعمال تحسين حالة القنال والموانيء الموصلة اليه التى يشرع فيها من ابتداء سنة ١٩١١ ويشترط أن يكون توزيع الفوائد والاستهلاك على أقساط سنوية متساوية عن كامل مدة هذه القروض

ويكون تقدير حصة الحكومة حسب القواعد المتبعة فى تقدير نصيب المساهمين من الأرباح ما لم تدع الحال لتطبيق القيود المدونة فى الفقرة السالفة الذكر

ويكون دفعها على كل حال فى ذات المواعيد المحددة لذلك

المادة السادسة

حساب الخمسين فى المائة التى تخص الحكومة بعد انتهاء مدة الامتياز يكون عن الباقى من رأس مال الشركة بعد رجوع القنال الى الحكومة طبقاً للشروط المدونة فى عقد الامتياز المؤرخ فى ٥ يناير سنة ١٨٥٦

المادة السابعة

تعترف الشركة بلزوم وجود نائبين عن الحكومة المصرية فى مجلس ادارتها من ابتداء سنة ١٩٦٩ نظراً لأهمية حصة الحكومة فى ارباح القنال

وعلى ذلك قد تقرر من الآن بان يكون للحكومة المصرية بناء على طلبها ثلاثة اعضاء على الاكثر تنتخبهم هى ويقدمهم مجلس الادارة وتعينهم الجمعية العمومية حسب القواعد المتبعه

المادة الثامنة

بناء على طلب الشركة تتكفل الحكومة بعد انتهاء مدة الامتياز بدفع المعاشات والاعانات ومرتبات التقاعد التى يقتضيها تنفيذ اللوائح المتبعة الآن الخاصة بالمستخدمين ورؤساء البوغاز والعمال وقد سلمت الشركة للحكومة صورة من هذه اللوائح

المادة التاسعة

تتعهد الشركة بان تجرى فى المستقبل على نفقتها اعمال الحفظ والصيانة والتحسينات التى تراها لازمة لجعل مداخل القنال من جهة السويس فى حالة مرضية وتقبل ايضاً ان تتكفل بنفقات اعمال التطهير التى تباشرها الحكومة المصرية فى ميناء السويس لتعميق الممر الموصل للقنال بشرط ان لا تتجاوز هذه النفقات ٩٠٫٠٠٠ جنيه مصرى (٢٫٣٣٣٫٧٠٠ فرنكا)

المادة العاشرة

قد صار الاتفاق على ان جميع العقود والاتفاقات التى ابرمت قبل الآن بين الحكومة والشركة تعتبر نصوصها المتعلقة بمدة الامتياز أو نهايته سواء كانت هذه النصوص تشير الى ذلك صريحاً أو ضمنا كأنها منطبقة على مدة الامتياز أو نهايته حسب امتداده فى الاتفاق الحالى

المادة الحادية عشر

لا يعتبر هذا الاتفاق نهائياً ولا يكون نافذ المفعول الا بعد مصادقة الجمعية العمومية لمساهمى الشركة

وكان المرحوم حشمت باشا ناظراً للمالية فى ذلك العهد والمغفور له سعد زغلول باشا ناظراً للحقانية وهو الذى كلف من قبل الحكومة بالدفاع عن مشروع مد امتياز شركة قنال السويس . والجمعية العمومية أحالت المشروع الى لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضواً لدرسه وفحصه وتقديم تقرير عنه . واللجنة عقدت عدة جلسات تحت

رئاسة المغفور له محمود سليمان باشا ثم قدمت تقريراً قررت فيه باجماع الاراء رفض المشروع . والجمعية العمومية بجلسة ٧ ابريل سنة ١٩١٠ رفضت المشروع بالاجماع ماعدا حضرة مرقس سميكة بك الذى رأى قبوله مع التعديل وما عدا حضرات النظار

وقد بنت اللجنة رفض المشروع على الامور الآتية :—

اولا — ان فيه غبنا فاحشاً قدرته بمبلغ ٠٠٠ر٥٩٨ر ١٣٠ جنيه

ثانياً — ان المشروع سابق لأوانه

ثالثا — ان ليس هناك حاجة الى المال

رابعاً — ان ليس هناك ضمانة لحسن استعمال هذا المال فيما يفيد البلاد

وقد اجتهد المغفور له سعد زغلول باشا فى تفنيد الاسباب التى بنت عليها اللجنة رفض المشروع وتحويل اراء اعضاء الجمعيــة العمومية فلم يوفق وثبت الاعضاء على رأيهم ولم يتحولوا عنه .

عزيز خانكى